

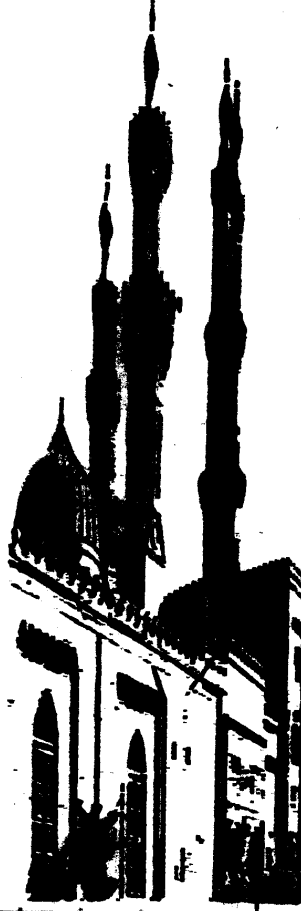
جامعة الأزهر
كلية للدراسات الإسلامية
والعربية
للبنين بد سوق

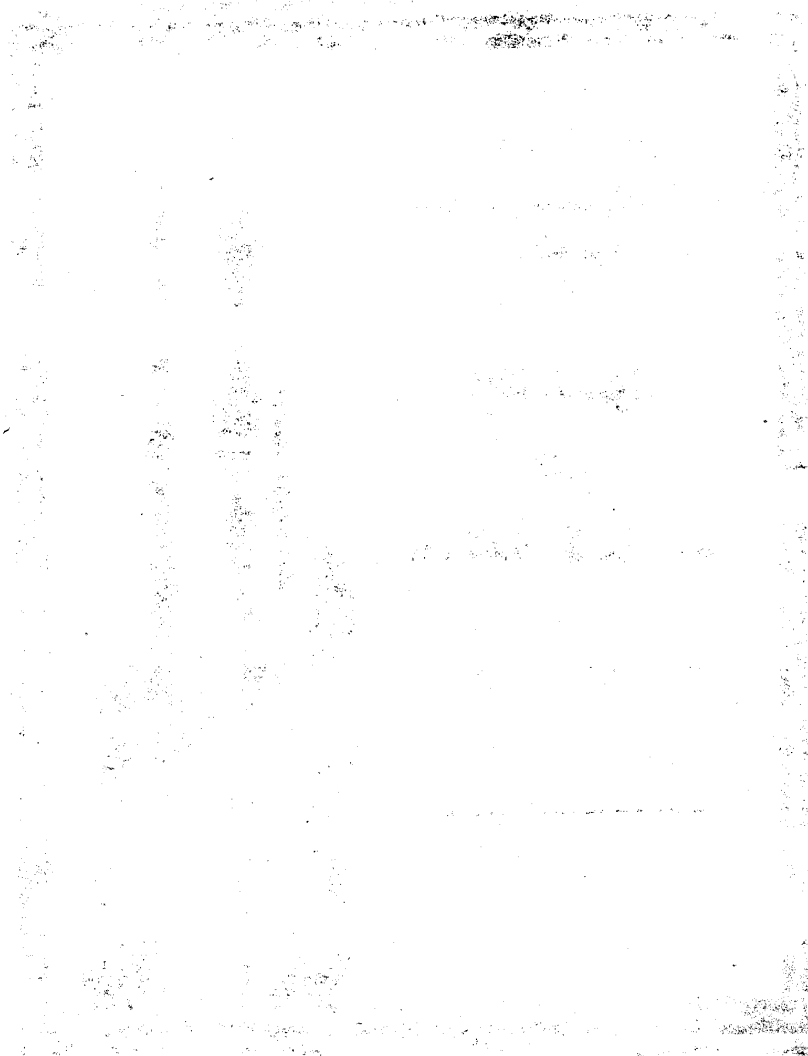
أضواء على العقيدة الإسلامية

إعداد

مكتوب / ثروت حسين سالم
مدرس العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

مراجعة فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد المحمود مصطفى سالم
أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

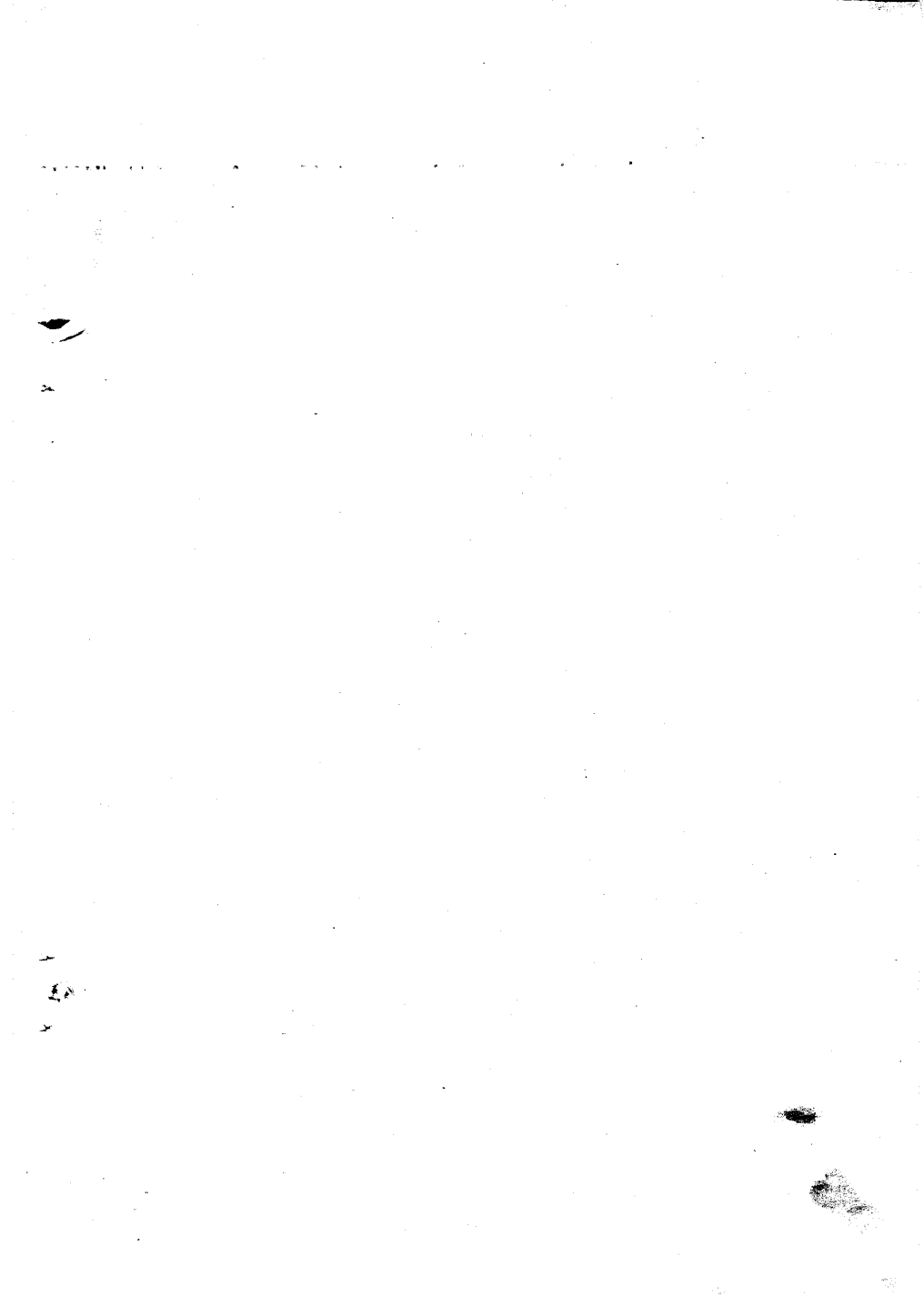




يقول ابن عطاء الله رَحِمَهُ اللهُ:

(إلشي كيف يستدل عليك بما شو فيه
وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من
الظهور ما ليس لك؟ حتم يكون هو الظاهر
لك؟ متع غيبه حتم تحتاج إله دليل؟ ومتع
بعده حتم تكون الآثار شي التي توصل
إليك؟ كيف تخفى وأنت الظاهر؟ أم كيف
تغيب وأنت الرقيب الحاضر؟ (٢٢)

(٢٢) راجع حكم ابن عطاء الله السكندري - ت د / عبد الحليم محمود د.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين ورحمة الله للعالمين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد
.....

فقد أيم الله نعمته على المؤمنين بإرساله رسوله بين يدي الساعة مبشرين بنعيم
الله تعالى لمن أطاعه وسلك طريقه ومنذرين كل من صد عن دعوة الحق وأغلق
قلبه ونأى عن توحيد الله رب العالمين فكلهم قد علم صلاحه وتسييحه وكلهم قد
ندى بتوحيد الله رب العالمين وفي هذا يقول ربنا تبارك وتعالى (وما أرسلنا من
قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)^(١) وجاهد الأنبياء
والمرسلين أقوامهم وأثروا في سبيل الله تعالى من أجل إعلان أن لا إله إلا الله
ومع هذا قالت لهم أقوامهم لنخر نجتكم من أرضنا أو لنعوبنا في ملتنا ولكن
وحى السماء كل من معهم فلم يبيتوا بما نزل بهم من بلايا ومحن وزلزلوا حتى
يقولوا الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب وقد هذا
الله روعهم بقوله (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم
الأشهاد)^(٢) ومع تتابع الأنبياء والمرسلين فما من أمة إلا خلا فيها نذير. كما بين
الولاد الأحاد لم يصدر منهم ما يخل بعصمتهم أو يقلل من شأنهم ككثير من ناطقين
بلسان المولى عز وجل بل كانت دعوتهم كلها لين وسملحة وعفو فحواها قوله

سورة الأنبياء الآية (٢٥)

سورة غافر الآية (١)

تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ^(١) وصدق المولى إذ يقول عن حبيبه
(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ٠٠٠) ^(٢) ومن هذا المنطلق
استمرت دعوة رسل الله نورا وهداية للناس بعيدا عن غيابات الجهل وضلال
اتباع الأبناء بغير علم، وسيطرة الشيطان، واتباع الهوى، وأماني النفس الأماره
بالسوء. حتى كان آخر الرسل المكرمين وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم والذي جاهد وذكر ونادى بتوحيد الله رب العالمين واستمر يؤسس هذه
الدعوة أكثر من ثلاث عشرة عاما ينادى بتوحيد الله رب العالمين مذكرا للفطر
السليمة يربها والتي ران عليه الأهواء والأماني ٠٠٠. ألخ فالتف حوله الناس
واتبعوه، وغلبت معه الفئة القليلة الفئة الكثيرة بإذن الله رب العالمين بل إنه عليه
السلام أظهره الله على العالمين. فبلغ بدعوته مشارق الأرض ومغاربها. وأتم الله
به النعمة فأعلن قوله والذي حكاه القرآن الكريم عنه (اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) ^(٣) ومازال المسلمون إلى اليوم
في شتى بقاع الأرض على الرغم من اختلاف سنتهم وألوا نهم وبيناتهم
يعتقون إن لاله الااله محمد رسول الله بل إن أسنتهم لا تفتر عن توحيد الله رب
العالمين فما يكاد الأذان ينتهي من بلد حتى يعلن في أخرى فلا وقت يمر الا
ومعه شاهد ودليل على توحيد الله رب العالمين . ومن هنا كان المهة الثقيلة
على رجال الدين بل على كل مسلم أن يثبت على اسلامه وتوحيده الله رب

^(١) سورة الكهف الآية ٢٩

^(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٣

^(٣) سورة المائدة الآية ٢٠٠

العلمين في وقت طفت فيه الملة على سائر أحوالنا وأصبح الإسلام يهدد بأهله
ويغيرهم من الداخل ومن الخارج: دعوات هدامة تريد الفتك بالإسلام وأهله فهل
يقف المسلمون منتظرين المخلص. أم عقاب الله: ألا فليعلم هؤلاء قوله تعالى (إن
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)^(١) ولو شاء الله لفعل فبالسما
لا تمطر ذهباً ولافضة. ولكنه السعى على إعلان التوحيد الخالص لله رب العالمين .
وقد قيد الله للإسلام في كل عصر ومصر من يبنون للناس أمور دينهم. فمنهم
من قضى نحبه ونسأل الله لهم الرحمة والمغفرة. ومنهم من ينتظر ولكن الإسلام
يريد أمة واعية تسود لها الدنيا كما سادت لرسولنا صلى الله عليه وسلم. وإذا كنا
نحن من أمة الرسول الكريم فواجبنا جميعاً أن نقبض على ديننا مهما حدث
وندعو إلى توحيد الله رب العالمين في شتى السلوكيات معلنيين قوله تعالى
منهلجا لنا (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له
)^(٢) مبتعدين عن التشدد والشقاق والخلاف المؤدى إلى الفجور والعناد فديننا
واحد، وربنا واحد. ورسولنا واحد، وإذا صلح أمرنا باتباع نهج العنان صلى الله
عليه وسلم فلن يتمكن منا عدو مهما كان من سلطانه وجبروته لأننا جند الله
تعالى والذين قال فيهم (وإن جندنا لهم الغالبون)^(٣) . فهذه دعوة أوجهها لابنائنا
وأخواننا الطلاب لكي يسيروا على نهج الله تعالى وأن يتسلحوا بسلاح القوة الذي

(١) سورة الرعد الآية (١٠٠)

(٢) سورة الانعام الآية (١٠٦)

(٣) سورة الأنبياء الآية (١٠٧)

أمرهم الله به في قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لآتطمونهم الله يعلمهم .) (١)

وبعد...

فهذه صفحات في علم الإلهيات أسأل المولى عز وجل أن أكون قد وفقت في عرض للمادة العلمية بحيث يجد فيها الأبناء والأخوة السهولة واليسر، والمادة العلمية الخصبة التي ينتفعون بها، وقد راعيت فيها الأسلوب السهل والذي يصل إلى الأذهان . إن شاء الله دون عنت أو مشقة .

كما أسأله تعالى أن تكون هذه الصفحات فيها التذكرة وأن تعيها أذن وإعية. والله أسأل أن يوفق المسلمين لنصرة الإسلام ورفع راية التوحيد عالية خفاقة، وأن يكمل جهد أبنائنا الطلاب بالتوفيق والنجاح وأن يجعلهم عدة للإسلام ومن المدافعين عنه . إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسينا ومولانا نعم المولى ونعم النصير . .

مفهوم العقيدة

تعريف علم التوحيد

عرف علم التوحيد بتعريفات عديدة نذكر منها :-

* علم التوحيد لغة :-

و ح د الوَحْدَةُ الانفراد تقول رأيته وَحْدَهُ وهو منصوب عند أهل الكوفة على الظرف وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال كأنك قلت أَوْحَدْتُهُ بِرُؤْيِي إِحَادًا- أي لم أر غيره ثم وضعت وَحْدَهُ هذا الموضع وقال أبو العباس يحتمل أيضا وجها آخر وهو أن يكون الرجل في نفسه مُتَفَرِّدا كأنك قلت رأيته رجلا مُتَفَرِّدا انفرادا ثم وضعت وَحْدَهُ موضعه ولا يُضَاف إلا في قولهم فلان نسيج وحده وهو مدح وجُحِيش وحده وعُيَيْر وحده وهما نم كأنك قلت نسيج إفراد فلما وضعت وحده موضع مصدر مجرور جررته وربما قالوا رَجِيل وحده و الواحدُ أول العدد والجمع وَحْدَانٌ وَ أَحْدَانٌ كشاب وشبان وراع ورعيان ويقال حيّ واحدٌ وحيّ واحدون كما يقال شُرْئمة قليلون ويقال وَحْدٌ وَ أَحْدٌ بتشديد الحاء فيهما كما يقال ثَنَاهُ وَثَلْتُهُ ورجل وَحْدٌ وَ وَحْدٌ بفتح الحاء وكسرهما و وحيدٌ أي مُتَفَرِّدٌ وَ تَوَحَّدَ بِرَأْيِهِ تَفَرَّدَ بِهِ وَفُلَانٌ وَاحِدٌ دَهْرُهُ أي لا نظير له وَفُلَانٌ لَا وَاحِدَ لَهُ وَ أَوْحَدَهُ اللَّهُ جَعَلَهُ وَاحِدَ زَمَانِهِ وَفُلَانٌ أَوْحَدُ زَمَانِهِ وَالْجَمْعُ أَحْدَانٌ مِثْلُ أَسْوَدَ وَسُودَانِ وَأَصْلُهُ وَحْدَانٌ وَيُقَالُ لِسِتٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِأَوْحَدٍ وَلَا يُقَالُ لِلْأُنْثَى وَحْدَاءٌ وَتَقُولُ أَعْطِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى حِدَةٍ

أي على حياله وجاءوا مَوْحَدَ مَوْحَدَ و أَحَادَ أَحَادَ و وَحَادَ وَحَادَ أي
فُرَادَى كل ذلك غير مصروف للعدل والصفة. (١)

عرف لغة العلم بأن الشيء واحد وإصطلاحاً بأنه علم يقتدر به إلى
إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية .

*فهذا العلم يساعد المتكلم على إثبات ما يرمى إليه من خلال وقوفه
على الأدلة القاطعة .

وعرفه ابن خلدون بأنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة
العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب
السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد هو التوحيد (٢)

*وعرفه صاحب المقاصد رحمه الله فقال (اعلم أن الأحكام الشرعية
منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية ، ومنها ما يتعلق

(١) - مختار الصحاح ج: ١ ص: ٢٩٦

(٢) راجع المقدمة ص ٣٢١

بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية والعلم بالاولى يسمى علم الشرائع والأحكام وبالتثنية علم التوحيد والصفات . (١) فاعلم الكلام هو ما يتعلق بالأصول الاعتقادية .

وعرفه الأبحي رحمه الله بأنه (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع المشبه .) (٢)

وعرفه الإمام محمد عبده رحمه الله :- بأنه (علم يبحث فيه عن وجود الله تعالى وما يجب وما أن يثبت له من صفات ، وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب ان ينقى عنه ، وعن الرسل لاثبات رسالتهم ، وما يجب أن يكونوا عليه ، وما يجوز ان ينسب إليهم ، وما يمتنع أن يلحق بهم .) (٣) وهنا نلاحظ أن الإمام الجليل يضع أيدينا على العلم ومباحثه المرادة منه فمباحث علم التوحيد هي الالهيات والنبوات والسمعيات . ويوضح الأمر

(١) شرح العقائد النسفية النفاذاني ص ٣١ الى ٣٩ . ط مطبعة صبيح الثانية

(٢) المواقف الأبحي ص ٧ ط عالم الكتب .

(٣) الرسالة الشيخ محمد عبده ت الشيخ رشيد رضا ص ٥

الإستاذ مصطفى عبد الرزاق رحمه الله :- فيبين نقطة الاختلاف هل ترجع الى كون الكلام يثبت بالعقائد الدينية أو بالبواهي العقلية كما يدافع عنها أو هي إما تدفع الشبه عن العقائد الإيمانية الثابتة بالكتاب والسنة كما أنه يرى " أن طريقة أهل الكلام هي النظر والاستدلال وهم الملتزمون لملة من ملل الانبياء^(١) . فالمتكلم يستطيع أن يركن إلى هذه الملة فيبطل حجج المعارضين ويقطع سنتهم بتمسكه بالعقائد الإيمانية الثابتة .

*** ويرى الإمام الغزالي رحمه الله :-** أن هذا العلم مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها . عن تشويش أهل البدعة . . .^(٢)

*** هذا وقد امتلأت الدينا بالمشككين ضد الإسلام وهذا ما دعا الإمام الكوثرى إلى دعوته هذه قائلا (يجب على المسلمين أن يتفرغ منهم جماعة لتتبع الآراء السائدة في طوائف البشر وفحص كل ما يأتي من**

^(١) راجع تهديد للتدريج الفلسفة الإسلامية ص ٦٩ الثالثة .

^(٢) راجع المنقذ من الضلال ت د عبد الحليم محمود ص ٣٣٨ ط دار المعارف .

قبله ضرر للمسلمين لاسيما في المعتقد الذي لا يزال ينبوع كل خير
مادام راسخا رصينا ٠٠٠٠ الخ (٢)

مسمياته

تعددت مسميات هذا العلم ولعل السر في ذلك . إما إنه راجع لشرف كل
مسألة فيه على حده ، وإما لأن علماءه أرادوا لفت الأنظار إليه
فاستخدموا كثيرا من الأسماء من باب العناية والاهتمام وإثارة الرغبة
في دراسته لما له من صلة وثيقة بالعقيدة . (٣) ولكل وجهة هو موليها
ولكنها تتحد تحت إطار هذا العلم نوردها على النحو التالي .:

أولا :- علم الكلام وذلك لأمور منها :-

* قيل لأنه يورث قدرة علم، الكلام في الشرعيات كالمنطق في الفلسفيات

* أو لأنه كثر فيه الكلام مع المخالفين مما لم يكثر في غيره

(٣) تين كذب انمفتري - ابن عسكرو ص ٢١ ط دار الفكر ١٣٩٩

(٢) راجع الألوهمية في الفكر الاسلامي د. عبد الله الشاذلي ص ١٤

•• أو لأنه بقوة أدلته كأنه صار هو الكلام دون ما عداه كما يقال في

الأقوى من الكلاميين هذا هو الكلام. (١)

• أولاً أشهر مسألة وقع فيها الخلاف والجدال هي مسألة كلام الله هل

هو حادث أم قديم.

• أو لأنه في بيانه لطرق الاستدلال على أصول الدين أشبه بالمنطق في

تبيانه مسالك الحجة في علوم أهل النظر وأبدل المنطق بالكلام للتفرقة

بينهما. (١) وقد أشار الشهرستاني رحمه الله إلى اعتماد الكلام

كمصطلح على هذا العلم في عهد المأمون فأصبح لفظ الكلام مرادفاً

للجدل. (٢)

علم التوحيد _ وذلك تسمية له بأهم مباحثه. فهو من باب تسميه الكل

باسم الجزء.

(١) راجع تاريخ الفكر الفلسفي ص ١٢٢ وما بعدها

(١) الرسالة . ص ٧

(٢) راجع تامل والنحل ج ١ ص ٣٦ .

•• علم العقيدة لزمه يبحث فيه عن وجود الله ومن اعتقد وجود الله
يلزمه القول بإثبات النبوات والملائكة... الخ فهو يبحث في العقيدة
الإسلامية فيما يتصل بالأنوهمية والرسول والرسالة والمعجزة والغيبات .

•• كما يسمى بعلم أصول الدين أو علم الكلام أو الفقه الأكبر تمييزاً له
عن علم الفروع وعلم الفقه والشرعية

بوضحة

ذات الله تعالى من حيث ما يجب له وما يجوز وما يستحيل في حقه :
تعالى وذات الرسل كذلك .والممكن من حيث إله يتوصل به إلى وجود
صانعه والسمعيات من حيث اعتقادها (١)

ثمر دراسة علم العقيدة

أولاً:- يرتقى دارسه من مرتبة التقليد إلى مرتبة التيقن .

ثانياً :- ينزّم المعاندين بإقامة الحجّة عليهم .

ثالثاً: يحفظ قواعد الدين من شبه الباطنيين .

رابعاً:- تقوم عليه العلوم الأخرى لكونه أساساً لها .

خامساً:- إنه يرجى بصحة الاعتقاد قبول العمل والفوز

بسعادة الدارين .

سادساً:- يعمل هذا العلم على تفجير المشاعر النبيلة وإيقاظ حواس

الخير وتربية ملكة المراقبة لدى الإنسان وبذلك ينأى عن محقرات الأمور .

(١) شرح الجوهرة - الثقات ص ١١ ط دار الكتب العلمية ١٩٨٢م

سابعاً:- يساعد المرء على معرفة عالم ماوراء الطبيعة وبذلك يهيئ

نفسه له . (١)

ثامناً تساعد المعرفة بكتب الله تعالى عن طريقه على معرفة التشريعات

والإلزامات التي بها يعيش الناس بعضهم بعضاً . فالقرآن قال عنه الله

تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما

فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) (٢)

تاسعاً:- تبرز العقيدة سيرة المصطفين الأخيار وبذلك تظهر القدوة

الصالحة التي ينبغي السير وراءها واتباع خطاها . وليس هناك من

قدوة أشرف من هؤلاء المرسلين وصدق الله إذ يقول (أولئك الذين هدى

الله فبهداهم اقتده) (٣)

عاشراً:- تعمل العقيدة الإسلامية على تبصرة الأفراد والجماعات والأمم

جميعاً بحقائق الأشياء وقيمتها عن طريق الوقوف بهم على معالم اليوم

(١) راجع المواقف للإيجى ص ٨ .

(٢) سورة يونس الآية رقم ١٠٤ .

سورة النمل الآية ٢٠ .

الآخر وما فيه من سعادة لمن أطاع الله واتبع رسله، وما فيها أيضا من شقاء لمن أعرض وصد عن سبيل الله وعصى رسله واتبع أمر كل جبار عنيد .

حادى عشر :- تعمل دراسة العقيدة والوقوف عليه على تهتئة روع الإنسان فى كل ما يحيط به وبذلك ينأى عن المشكلات النفسية التى تسببها له تفكيره فى أمر الرزق والإعداد للغد وما فيه ... الخ كل هذه الأمور .

تسكن بمجرد صدوع المرء لأمر الله تعالى وإيمانه بقضاء الله تعالى وقدره فالعقيدة هى النسيم الذى تشمه جميع الموجودات فتشرب وتنضرب وهى الروح المجدد للناس آمالهم . وهى الشرح والنور وصدق العلى إذ يقول (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ...)^(١) ونكتفى بهذا القدر من الثمار المتعددة لعلم العقيدة ونعود لنقطة أخرى تتعلق بالأدوار التى مر بها علم العقيدة وإليك طرفا من الحديث عنها فى إيجاز .

^(١) سورة الزمر الآية :

الأدوار التي مر بها علم الكلام:

الدور الأول: حين بعثته عليه السلام إلى مقتل الإمام علي .

انتقل ارسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة فلا نبي بعده ولا كتاب بعده صلى الله عليه وسلم وفي هذا نقرأ قول الله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ^(١) . وفي تفسير الآية يقول ابن كثير رحمه الله :-

حدثنا ابن فضال عن هارون بن عثرة عن أبيه قال لما نزلت اليوم أكملت لكم دينكم وذلك يوم بكى عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فلما إذا أكمل فبانه لم يكن شيء إلا نقص فقل صدقت ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت م إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء وقال الإمام أحمد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو المعيس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود في عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا يامعشر اليهود نزلت لا تأخذنا تلك اليوم عبداً قال ونصف آية قال قوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فقال عمر والله إنني لأعند يهود بني نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة انني نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه

قال قوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فإني أعلم اليوم الذي نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشية عرفة في يوم الجمعة رواه البخاري عن الحسن بن جعفر بن عون به ورواه أيضا مسلم
والترمذي والنسائي أيضا من طرق عن قيس بن مسلم به ولفظ البخاري ثم تفسير هذه الآية من
طريق سفيان الثوري عن قيس عن طارق قال قالت اليهود لمر الله إنكم تقرؤون آية لو نزلت فيها
لا تخذناها عيدا فقال عمر إني لأعلم حين أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا اليوم أكملت لكم
دينكم الآية وشك سفيان رحمه الله إن كان في الرواية فهو تورع حيث شك هل أخبره شيخه بذلك
أم لا وإن كان شكاً في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم الجمعة فهذا ما أخاله يصدر عن
الثوري رحمه الله فإن هذا أمر معلوم مقطوع به ثم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير
ولا من الفقهاء وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها والله أعلم وقد روي هذا
الحديث وجه عن عمر وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عثية أخبرنا رجاء بن
أبي سلمة أخبرنا عباد بن نسي أخبرنا أميرنا سحاق قال أبو جعفر بن جرير هو إسحاق بن
حرثة عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال قال لعبد بنو هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية فنظروا

اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه فقال عمر أي آية يا كعب فقال اليوم أكملت لكم دينكم فقال عمر قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن سلمة عن عمار هو مولى بني هاشم أن ابن عباس قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فقال زفر لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يوماً عيداً فقال ابن عباس فإنها نزلت في يوم عشرين اثنين يوم عيد ويوم الجمعة وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا موسى بن هارون حدثنا يحيى الحماني حدثنا قيس بن الربيع عن إسماعيل بن سليمان عن ابن عمر البزار عن ابن الحنفية عن علي قال نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم عشية عرفة اليوم أكملت لكم دينكم وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياض حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية اليوم أكملت لكم دينكم حتى ختمها فقال نزلت في يوم عرفة في يوم الجمعة وروى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق عن عمر بن موسى بن وجيه عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال نزلت هذه الآية اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً يوم عرفة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على الموقف فأما

مارواد ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش

بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس قال ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين وخرج من

مكة يوم الإثنين ودخل المدينة يوم الإثنين وفتح بدر يوم الإثنين وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين

اليوم أكملت لكم دينكم ورفع الذكر يوم الإثنين فله أثر غريب وإسناده ضعيف وقد رواد الإمام أحمد

حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش الصنعاني عن ابن عباس

قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين واستتب يوم الإثنين وخرج مهاجرا من مكة إلى

المدينة يوم الإثنين وقدم المدينة يوم الإثنين وتوفي يوم الإثنين ووضع الحجر الأسود يوم الإثنين

هذا لفظ أحمد ولم يذكر نزول المائدة يوم الإثنين فافهم أعلم ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت

يوم عيسى(*) وقد كان عليه الصلاة والسلام ملاذ كل سائل وملهم كل

مسترشد عن الحقيقة فكانت أجوبته صلى الله عليه وسلم شافية لهؤلاء

السائلين ومن هذه الأسئلة كان عن الساعة وعن الجبال وعن الروح

وعن اليتامى وعن الإنفاق الخ (وجاءت الإجابات

قاطعة لكل تسأل فلم يكن للمسلمين حينئذ فرسا للاختلاف أو الافتراق

(*) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١١

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان الحكم فيما بينهم وصلى الله عليه
يقول فيما (فلأوريك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (١) بل إنه
صلى الله عليه وسلم كان يتفقد أحوال قومه من حيث ما يتكلمون
ويصوب أفعالهم فقد جاء عن أبي هريرة رضى الله عنه قال (خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب
حتى أحمر وجهه ثم قال أبهذا أمرتم ! أم بهذا أرسلت إليكم إنما أهلك
من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا)
ومن هنا صدع الصحابة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وجاءت كتب السنة بما تحمله من روايات وأحاديث صحيحة
لتنبيه هذا الأمر فلم يتكلموا (الصحابة) ولم يتنازعوا في
مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل
كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية
كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسموها تأويلا ولم يحرفوها

عن مواضعها-تبديلاً ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن
حقانها وحملها بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإجلال
والتعظيم . (١)*

وهكذا يتبين لنا أن الصدر الاول من الصحابة-الكرام
إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه
الاقاويل دون تأويلات فيها-ومن كان منهم وقف على تأويل لم
ير أن يصرح به-وأما من أتى بعدهم فأنهم لما استعملوا التأويل
قل تقواهم وكذا اختلافهم وارتفعت أصواتهم وتفرقوا فرقا
(وصدق المولى عز إذ يقول (ولا تكونوا كالذين تفرقوا
وأختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)
وصدق إذ يقول (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم
في شئ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)^(١)
وهكذا يتبين لنا تسليم الصحابة بما جاء في القرآن الكريم وما
جاء في السنة المطهرة ومما يدل على هذا الأمر ويؤيده قول
النبي صلى الله عليه وسلم لعمر عندما رأى بيده ورقة من

(١) إعلام الموقعين- ابن القيم
(٢) سورة العنكبوت الآية (٢٠)
(٣) سورة الانعام الآية (١٠٠)

التوراة (الم اتاكم بها ببيضاء نفية والله ليو كان موسى حيا ما
وسعه الاتباعي) (١).

الدور الثاني :-

من مقتل الإمام علي رضي الله عنه إلى نهاية القرن الخامس
الميلادي وفيه ظهرت الفرق الإسلامية بصورة واضحة واختلطت
فيه الثقافات المتباينة والوضعية فامتلات الساحة بالأفكار
الفاسدة .

الدور الثالث :-

وهو دور المتأخرين وامتاز بالجمع والمزج بين علم الكلام
والفلسفة واشتد تعلق بعض المتكلمين بالفلسفة حتى قدموها
على الدين وإخضاعه له في كثير من المسائل . وتعتبر فرقة

١- أخرجه أحمد في مسنده ج ١٢ ص ١٠٠٠ رقم ١٠٠٠٠

الاعتزال من أشهر الفرق التي قدمت العقل على النقل على الرغم من جهدها المشكورة في خدمة الإسلام.^(١)

بين المتكلم والفيلسوف

قد مر بنا أن علم الكلام اختلط بالفلسفة في أحد أدوار التي مربها ولكن المزج لم يمنع من الفصل بينهما فكل له صفاته وخصائصه وهي كما يرى ابن خلدون (٠٠٠) إن المتكلم يستدل بالكانات على وجود الله تعالى وصفاته والفيلسوف ينظر إلى الجسم الطبيعي من حيث إنه يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث إنه يدل على الفاعل والفيلسوف ينظر في الإلهيات من ناحية الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته والمتكلم ينظر في الوجود من حيث إنه يدل على الموجود^(٢)

^(١) راجع الأثرية في الفكر الإسلامي ص ٢٥

^(٢) راجع المقدمة ص ٢٠١

العقل عند الفيلسوف كل شئ فما يجوز فمقبول وما يرفضه
فمردود . بينما المتكلم يؤمن قبل التعقل فينظر في المتغير ليرى
الثابت الخ .

الفيلسوف يعقل لكي يؤمن أو لا يؤمن . بينما المتكلم مؤمن يريد
أن يعقل .

الفيلسوف الحقيقة لديه موضوعية يسهل إدراكها لأي شخص .
بينما هي عند المتكلم مسائل أصولية ثابتة كالإيمان بوجود الله
تعالى الخ (١)

ويمكن وضع الفروق الموضوعية في نقاط أهمها مايلي :-

أولاً:- اقتراب التصور الإلهي عند المتكلمين من الدين ومن
قواعد الإسلام على حين ضل الفلاسفة في سعيهم وشاب
نصورهم الوهم والتخيل الخ

ثانياً :- أقر علماء الكلام بالنبوة وسنموا بها على وجه ديني
 بينما وضعتها الفلسفة في إطار انتصوير العقلي فالمعاد عند
 المتكلمين حسي بينما عند الفلسفة روعي .

« نظرية الخلق بين الفلاسفة والتكلميين »

ثالثا :- أقر المتكلمون بصدور الكثرة عن الواحد وأيدوا كلامهم بالذكر الحكيم بينما وجدنا الفلاسفة لا يتصورون ذلك واخترعوا نظرية الصدور أو الفيض (الارسطي ٠٠ الخ) ليفسروا بها هذا الأمر ^(٢) وإليك طرفا منها يظهر من خلاله رؤية الفلاسفة ورؤية المتكلمين ^(٢)

^(٢) راجع الأهمية في الفكر الإسلامي ص ٢٨

^(٢١) يقول الفارابي (ويفيض من الأول وجود الثاني فهذا الثاني هو أيضا جوهر غير متجسم أصلا ولا هو في مادة فهو يعقل ذاته . ويعقل الأول وليس ما يعقل من ذاته هو شيء غير ذاته فيما يعقل من الأول يلزم عنه وجود ثالث وبما هو متجهر بذاته التي تخصه يلزم عنه وجود السماء الأولى والثالث أيضا وجوده لافى مادة وهو بجوهر عقل وهو يعقل ذاته ويعقل الأول فيما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود ككرة الكواكب الثابتة وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود رابع وهذا أيضا وجوده لافى مادة فهو يعقل ذاته ويعقل الأول فيما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود كوة زحل وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود خامس وهذا الخامس أيضا وجوده لافى مادة فهو يعقل ذاته ويعقل الأول فيما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كرة المشتري

•• وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود سادس . وهذا أيضا وجوده لافى مادة وهو يعقل ذاته ويعقل الأول فيما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كوة المويخ وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود سابع وهذا أيضا وجوده لافى مادة وهو يعقل ذاته ويعقل الأول فيما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كوة الشمس وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود ثامن وهو أيضا وجوده لافى مادة فيما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود كوة الزهرة

وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود تاسع - وهذا أيضا وجوده لا في مادة فهو يعقل ذاته ويعقل الأول فيما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كوة عطارد وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود عاشر وهذا أيضا وجوده لا في مادة فهو يعقل ذاته ويعقل الأول فيما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كوة القمر وعند كوة القمر ينتهي وجود الأجسام السماوية ولتبي هي بطبيعتها تتحرك دورا .

• في صفحات سابقة كنا قد عرضنا للوجهة اليونانية لتلك المسألة ومارقد أرسطو فيها وهناك يقتضينا المقام أن نبرز شيئاها ما يتعلق بتلك النظرية من حيث تسميتها بالفلاسفة ومن تابعهم يطلقون عليها اسم الصدور لا تخلق كما يقول أستاذنا الدكتور مزروعيه ذلك لأن الخلق يثبت للخالق إرادة وقدره وعلمها وتصرفا في المخلوق وهم لا يؤمنون بذلك وقد اختاروا لفظة الصدور لأنهم يؤمنون بأن العالم صدر عن الله تعالى كما تصدر الحرارة عن النار وكما تصغر الحرارة عن النار بلا إرادته أو قدره أو تصرف حر من النار كذلك الأمر عنهم بالنسبة لصدور العالم تعالى عن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا . . .

• إن نظرية العقول العشرة أساس اعتمد عليه الفارابي ليفسر به مشكلة الصلة بين الواحد والمتعدد ويوفق به من ناحية أخرى بين هيولى أرسطو الأتليه الأبدية والخلق الذي قال به الدين الاسلامي .

• وللمتكلمين رؤيتهم الخاصة بهم حيث يرون على الضد من الفلاسفة أن العالم لم يوجد من شيء لأن الله تعالى أوجده من عدم محض فالعالم ليس قديما فهو لم يكن، وحين أراد الله إيجاده أوجده من عدم وذلك أمر طبيعي واضح • لأن العالم إذا كان من شيء فهذا الشيء إما أن يكون حادثا فينتقل السؤال إلى ذلك الشيء ويتضمن الأمر وهو محال • وإما أن يكون ذلك الشيء الذي منه العالم قد بما فيكون هناك قديما فيكون إذن الهان لاإله واحد وذلك محال لأن القدم من أخص صفات الإله والقارق بينهما واضح •

• كما يرى المتكلمون أيضا أن العالم لم يسبق بزمان ليس ذاته قديم كما يرى الفلاسفة ولكن لأن الزمان حادث بحدوث العالم فهو مرتبط بالعالم فليس وجوده فان الزمان مرتبط بدورات الفلك من شمس وقمر وإذا كانت الأفلاك التي يقدر بها الزمان هي جزء من العالم فالزمان إذن مرتبط بوجود ذلك العالم وبالتالي لم يكن له وجود قبل خلق العالم وإذن فالعالم لم يكن مسبقا بالزمان • •

• كما يرى المتكلمون أن الله تعالى خلق العالم بعد أن لم يكن وأوجده من عدم محض أوجده باريته وقدرته على مقتضى علمه وحكمته وأنه تعالى قدر في الأزل وجود العالم في زمانه ومكانه اللذين وجد فيهما وقد صفتة انتهى يكون عليها •

وقد قامت الآيات العديدة في كتاب ربنا عز وجل لتثبيت هذا الامر فمنها قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) (الحديد : ٢٢)

(ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) (البقرة : ٢٥٥)

• تلك رؤية المتكلمين والتي ناهضوا بها الفلاسفة في زعمهم أن العالم يوجد من مادة سابقة عليه لأنه لم يسبق بمادة وذلك لأنه كان دائما فهو موجود أزلي قديم ومن ثم فهو غير مسبوق بشئ فلا يوجد من شئ لأنه لم يتناهى • وقولهم إن العالم لم يتقدمه زمان لأنه دائم أيضا أزلي فهو لم يــــــكن معدوما قط وقولهم إن العالم قديم وأنه صدر عنه تعالى بالعلية بمعنى أن الله لم يكن له إرادته ولا قدرة ولكنه صدر عنه طريق العلم أو التعقل ••

*** ونستعرض الآن تلك النظرية التوسار في ركايبها كثير من الفلاسفة لنرى خلطهم المزيف فيها :-

• قسم أرسطو العالم الى قسمين عالم السماء وعالم مادون فلك القمر (عالم الأرض) والعلاقة بينهما واسعة النطاق فالاول عالم الاطهار

والثاني عالم الأتانس (الكون والفساد) ومادته قديمة أزلية .

- حاولت تلك النظرية التقريب بين وجهة نظر الاسلام فى قوله بالخلق وبين قول الفلاسفة بالصدور أو بالفيض كما حاولت حل مشكلة الوحدة والتعدد فى الذات الإلهية فالواحد فى زعمهم لا يصدر عنه إلا واحد فمن تعقل الله لذاته أو علمه بذاته ومن حيث أنه مبدأ للخير والنظام صدر عنه موجود هو العقل الأول فالعلم هو القدرة التى تخلق كل شىء ويكفى أن يعلم الشىء لكى يوجد.

- وهذا العقل الذى صدر عنه له مهمتان أساسيتان

• الأولى :- أنه يتوجه بذاته نحو معقوله الأول

• الثانية :- أنه يتوجه نحو ذاته الأول شأنها

ومن حيث توجهه نحو ذاته وهى أقل رتبة ينشأ عنه كوكبا معينة

وهو فى ترتيبها من الأول الى العاشر ترتب بحسب الافضليه ترتيبا متناسقا تنازليا فالأول أفضل من الثانى والثانى أفضل من الثالث..... وكذا السماء الأولى أفضل من الكرات الأخرى التى تليها وتمتاز هذه العقول بأن وجودها لا يكون فى مادة (فهى مبرأة عن المادة)
(تبعاً لما صدرت عنه .

ويلحظ أن العقل الأول كان ممكنا قبل وجوده ثم أصبح بعد ذلك واجبا وهذا أمر اعتباري أما
إمكانه فذلك قبل وجوده وأما وجوبه فذلك بعد وجوده بفعل الموجد الأول .

*** ويمكننا أن نجعل جملة الأفلاك الخاصة بالعقول في قول بعضهم .

**** زحل شري مريخه من شمس

فتزهرت لعلا رد الاقمار

فهذه الأفلاك السبعة مضافا اليها السماء الاولى و كرة الثوابت .
فالاول (الذي صدر عنه كل ذلك مبرا عن الكثرة) وأما ما فاض عنه ففيه كثره
الاعتباريه (ثم تنتهي تلك العقول الى العقل الفعال أو الروح الامين أو روح
القدس كما يسميه الفارابي .

ويلحظ أيضا أن انتقال العقل الأول إلى الثاني الخ منزعة شوة الأدنى إلى
الأعلى والعقل الأعلى يرفع الأدنى إليه . والتدرج يتم بمؤثر هو فعل بطبيعته يعمل
على نقل حالة من القود إلى حالة الفعل وهذا المؤثر هو العقل الفعال فهو بالنسبة
إلى القوة كنسبة الشمس إلى العين فإن العين تبصر بالقوة .
مادامت في ظلمة فإن حصل الضوء وحصلت صور المرئيات في البصر صارت
بصرا بالفعل .

بين الدين والفلسفة

يمكننا أن نوضح الفرق بينهما من خلال ما ذكره د/داز رحمه الله فالدين وحى سماوي الهى ركيزته الثبات والصلق الدائمين وانه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واما الفلسفة فهي فكر بشرى والبشر محكوم في طبعه بالاهواء والميول والضعف والقوة والقيود فهي ترفض اليوم ما شينته أمس . فالبناء والهدم أمران دائمان في الأفكار الفلسفية . فلا تعرف الفلسفة الثبات بخلاف الدين السماوي .^(١)

عوامل نشأة علم الكلام

إن الناظر بعين ثاقبة حول هذا العلم لا يمكنه أن يقطع بأن هناك عاملا واحدا من وراء نشأته بل إن العوامل عديدة لا ينفك بعضها عن بعض

^(١) الدين د / عبدالله دراز - ص ٦٣ الى ٦٦

وإن كان للعوامل الداخلية النصيب الأكبر فإننا لا نستطيع أن نتجاهل العوامل الخارجية والتي أسهمت بنصيب وافر في نشأة هذا العلم؛ كما نود أن نشير إلى ما أشار إليه أئمة علم الكلام والفلسفة إلى حقيقة هامة تتعلق بوجود هذا العلم، فهو ليس وليد البيئة الإسلامية ولكنه علم قديم قدم الإنسانية فقد جادل الأقوام رسلهم كما علمنا متعللين بعطل متعددة ولكن الفرق "إن كل ماجاء من علوم الكلام قبل الإسلام تأويل أو تفسير أو إلهام بالخيالات يعلم من ذلك من له إمام بأحوال الأمم قبل البعثة الإسلامية وما أن جاء القرآن الكريم حتى نهج بالدين منهجا لم يكن عليه ما سبقته من الكتب المقدسة".^(١) والقارئ له يدرك ذلك فقد عرض للرأى ووالرأى المخالف له . كما طالب بالبحث والنظر الخ ومتنهج القرآن الكريم فى الاستدلال منهج واسع فى ذلك والشاهد معنا كما يرى الإمام محمد عبده رحمه الله (تأخى العقل مع النقل لأول مرة فى كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل)^(٢).

(١) الآلوهية فى الفكر الإسلامى . د. عبد الله الشاذلى ص ١٤

(٢) رسالته ص ٦-٨

العوامل التي ساعدت على قيام هذا العلم -

أولاً: كثرة الأديان التي كانت تحو إليها المنطقة كالزرادشتية والماتوية والمزدكية... وكل هذه ديانات لم تعرف التوحيد. وقد سعى متقفوها بكل الحيل على إضعاف الروح الدينية وتمزيق وحدة المسلمين: فالدين اليهودي ماكان ليثبت أمام هذه التيارات الدينية المختلفة ففسر قضاياه بأسلوب رمزي متأثراً بتلك العقائد والنحل المختلفة وظهر ذلك على يد فيلون السكندري. ثم تسلحت المسيحية بالتآمر الكلامي لتواجه هذه الاتجاهات المختلفة. فظهر الجدل بينهم حول الله وصفاته والنبوة والوحي وحرية الإرادة وعبادة الأيقونة والثالوث الأقدس سر التجسد وطبيعة المسيح ثم كانت المجامع المتعددة والتي أدت بفورها إلى انقسام النصارى إلى يعاقبة^(١)، ونساطرة،

^(١) اليعاقبة: - هم أصحاب يعقوب للبرادعي والذي نادى بالطبيعة الواحدة للمسيح وهي ذات الصبغة الإلهية وقد أقر مجمع افسس الثاني هذا الأمر والذي انعقد في منتصف القرن الخامس ق.م

أما الملكانية: - فنسبه إلى ملك روما والذي أقر ان المسيح له طبيعتين الإلهية وهي طبيعة قد اتفقت بانثاسوت وهو طبيعة في شخص المسيح عليه السلام وكان ذلك الأمر

وملكانيين(*) . وقد اعتمد هؤلاء في جدلهم الكلامي على المنطق
أحيانا وأخرى على الفلسفة .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن هذه الاتجاهات المختلفة لم يسلم منها
أرباب الأديان فتحولوا إلى وجهتهم الكلامية وهذا ما حدث مع
المسلمين حينما فتحوا هذه البلاد المختلفة فقد جادلوهم بنفس لسانهم
أي أنهم اضطروا إلى التسليح بالفلسفة وبا لمنطق الصوري مواجهة لقوم
لا يؤمنون بالقرآن ولا بالسنة وإنما يريدون حوارا عقليا تخدمه الحجج
القوية والأدلة الدامغة التي ترضى العقول .^(١)

تقريراً لمجمع خلقدونية والذي انعقد سنة ٤٥١ ، وأبطل ماقرره مجمع أفسس السالف الذكر
وقد انتصر الملك لهذا الرأي ولذا سمي المذهب باسمه .

النساطرة:- نسبة إلى نستور بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨٠ ق.م . ومكث في منصبه مدة
أربع سنوات وشهرين نادى نستور النسبة المسيح او ببشريته لكنه ذكر أنه اتحد بعد ذلك
بالأقنوم الثاني اتحاداً رمزياً مجازياً لأن الإله وعبه المحبة والنعمة فصار بمنزلة الابن لذا
انعقد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ ، وقرر لعن نستور وطرده . راجع الاسفار المقدسة في
الأديان السابقة للإسلام د/علي وافي ١٢٠ إلى ١٤٦ .

^(١) راجع تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام د محمد علي أبو رياص ص ١٣٨ وما بعدها . ط
دار المعرفة الجامعية الثانية .

ثانياً:-- نشاط الحركة العلمية في هذه المنطقة قبل الإسلام حيث اختلطت الثقافات المختلفة وظهرت المدارس المتعددة كالرها) وهي مدينة على الحدود بين سوريا والعراق ، وقد هاجر إليها العلماء النساطرة من نصيبين عندما استولى عليها الفرس عام ٣٦٤ م (١) ونصيبين وحران(وفيها اتصل الحرانيون بعلماء الفرس والعرب من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي . ومن الثاني إلى الرابع الهجري .) وغيرهما من المدارس النصرانية . ، والتقت ثقافة فارس مع الروم في هذه المدارس وقد كانت اللغة السريانية هي لغة الكنيسة الغربية والشرقية ودرست اللغة اليونانية في مدارس الأديرة التي كانت ذات صبغة دينية وتتصل بالنصوص المقدسة وكان الأطباء يعظمون مؤلفات بقراط وجالينوس وأرسطو . الخ

ثالثاً:-- مسائل الفلسفة اليونانية والتي تأثر بها علم الكلام الإسلامى وساعدت الجاليات اليونانية الموجودة فى هذه البقاع على نشر آرائها ومدرسة الاسكندرية والافلاطونية الحديثة أكبر دليل على هذا . .

رابعاً:-- حركة الترجمة والتي كان لها أثرها الكبير فى التعرف على الثقافات المختلفة وما شابها من تحريف وتبديل للمفاهيم العلمية و الأحداث التاريخية وقد كان أول عهدا فى عهد خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى ٥٨٥ - ٧٠٤ يقول ابن النديم عنه :- (كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلاً فى نفسه وله همة ومحبة للعلوم خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة إلى لغة ثم نقل الديوان وكان باللغة الفارسية إلى العربية فى أيام الحجاج والذي نقله صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم وكان أبو صالح من سبى سجستان وكان يكتب لزيد انفروخ بن

بيري كاتب الحجاج يخط بين يديه بالفارسية والعربية فخف على قلب
 الحجاج فقال صالح لزادانفروخ إنك أنت سببي إلى الأمير وأراه قد
 استخفني ولا آمن أن يقدمني عليك وأن تسقط منزلتك فقال لا تظن ذلك
 هو إلي أحوج مني إليه لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري فقال والله
 لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته قال فحول منه أسطرا
 حتى أرى ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث الحجاج إليه تياروس
 طبيبه فلم ير به علة وبلغ زادانفروخ ذلك فأمره أن يظهر واتفق أن قتل
 زادانفروخ في فتنة بن الأشعث وهو خارج من موضع كان فيه إلى
 منزله فاستكتب الحجاج صالحا مكانه فأعظمه الذي كان جرى بينه وبين
 صاحبه في نقل الديوان فعزم الحجاج على ذلك وقلده صالحا فقال له
 مردانشاه بن زادانفروخ كيف تصنع بدهويه وششويه قال أكتب عشرا
 ونصف عشر قال فكيف تصنع بويد قال أكتب وأيضاً قال والويدالنيف
 والزيادة تراد فقال له قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل
 الفارسية وبذلت له الفرس مائة ألف درهم على أن يظهر العجز عن نقل
 الديوان فأبى إلا نقله فنقله فكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح

ما أعظم منته على الكتاب وكان الحجاج أجله أجلا في نقل الديوان فلما
الديوان بالشام فكان بالرومية والذي كان يكتب عليه سرجون بن
منصور لمعاوية بن أبي سفيان ثم منصور بن سرجون ونقل الديوان في
زمن هشام بن عبد الملك نقله أبو ثابت سليمان بن سعد مولى حسين
وكان على كتابة الرسائل أيام عبد الملك وقد قيل إن الديوان نقل في
أيام عبد الملك فاتته أمر سرجون ببعض الأمر فتراخى فيه فأحفظ عبد
الملك فاستشار سليمان فقال له أنا أنقل الديوان وأرجل منه^(١) وبيّن
الشهرستاني مخاطر هذه الترجمات فيقول (طالع شيوخ المعتزلة كتب
الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام
وأفردتها فنا من فنون العلم باسم الكلام ٠٠٠ الخ)^(٢) وعند ملاحظة
أسماء النقلة تجدها كلها من خارج العرب مما كان له دوره في إخال
المترجمون عقائدهم إلى الترجمات التي قاموا بها . وعلى الرغم من
هذه الحملة الشرسة ضد الإسلام إلا أن الله قيض لهذا الدين من يحفظه

^(١) الفهرست ج: ١ ص: ٣٣٨

^(٢) راجع الملل والنحل - ج(١) ص ٣٦، ٣٧

فكان من أمر المنصور والذي أمر بوضع كتب لكشف شبهاتهم وإبطال مزاعمهم . (١)

خامساً:-- الخلافات التي وجدت في البيئة الإسلامية والتي دارت حول الإمامة والتي تشعب منها فرق ومذاهب كثيرة كل يقف عند رأيه أو يأخذ رأى غيره أو يرميه بالكفر فتتقطع الليل المظلم كان مرجعها إلى ضعف الدافع الديني في نفس الفرد والجماعة وقد كان سبباً في نشأة الأفكار المبتدعة التي تقو به رجال الفرق من مشبهة ومبتدعة ففسد الأعداء بهيولهم بسهولة ويسر بين قوم اتبعوا السبل وانتصروا لأنفسهم وجروا وراء التأويل تحقيقاً لمأربهم كل ذلك أدى نشأة هذا العلم .

سادساً:-- الآيات المتشابهات والتي تحدث القرآن عنها فيما يختص بالله تعالى وصفاته أقول إنها أوجدت تياراً كلامياً اتجه إلى التأويل من جانب أو التفويض من جانب آخر الأمر الذي أدى إلى الجدال في الساحة

(١) الرسالة ص ٢٨ ، ٢٩

الإسلامية ويعده ابن خلدون السبب الرئيسي في نشأة هذا العلم ويرجع
مادر من اتجاهات حول الذات الإلهية . . . أو كلام الله تعالى من حيث
كونه قديما أو مخلوقا (حادثا) . . . ألخ كل هذا يرجعه الى ما دار
حول تفسير الآيات الموهمة للتشبيه (أي تشبيه المولى بالحوادث) .^(١)

إن الدارس لعلم العقيدة يلاحظ اختلاط المفاهيم الفلسفية أحيانا بالمفاهيم
الكلامية إذا صح التعبير فيقابلة مصطلحات كثيرة من مثل الواجب
والجائز والمستحيل ولأجل هذا عقدت هذه الكلمة الموجزة لتتعرف من
خلالها على هذه الأقسام الثلاثة للحكم العقلي وذلك لمعرفة ما يصلح

(١) راجع المقدمة ص ٣٢٥ طدار ابن خلدون .

علم الكلام بين أنصاره وخصومه

شغل علم الكلام الأذهان وقلب أفكار العلماء ما بين مؤيد له ومعارض له ،ومن هنا فقد انتعش هذا الفن فإن كثرة الكلام حول أمر ما بالسلب والإيجاب ظاهرة صحية ومن هذا الإطار فإننا نعرض لوجهتي النظر حول التأييد لهذا العلم والرفض له في إيجاز ونستطلع بداية لهذا القول لابن الجوزي حيث يقول (.....) فإن إيليس لما تمكن من الأغبياء فورطهم في التنايد وساقهم سوق البهائم ثم رأى خلقا فيهم نوع نكاء وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فممنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فممنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز فساقهم إلى مذهب الفلاسفة ولم يزل هؤلاء حتى أخرجهم عن الإسلام وقد سبق نكيرهم في الرد على الفلاسفة ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتد إلا ما أدركته حواسه فيقال ليؤلاء بالحواس علمتم صحة قولكم فإن قالوا نعم كابروا لأن حواسنا لم تترك ما قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا بغير الحواس ناقضوا

قولهم ومنهم من نفره إيليس عن التقليد وحسن له الخوض في علم الكلام والنظر في أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك وبيعهم إلى الإلحاد.

•• ولم تسكت القنماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزا ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلا ثم يرد الصحيح غليلا فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه حتى قال الشافعي رحمه الله لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام قال وإذا سمعت الرجل يقول الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له قال وحكمي في علماء الكلام أن يضربوا بالجريد ويضاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام (١)

وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام أبدا علماء الكلام
 زنادقة (٢) قال المصنف قلت وكيف لا ينم الكلام وقد أفضى
 بالمعترلة إلى أنهم قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا
 يعلم تفاصيلها وقال جهم بن صفوان علم الله وقدرته وحياته
 محدثة وقال أبو محمد النوبختي عن جهم أنه قال إن الله عز
 وجل ليس بشيء وقال أبو علي الجبائي وأبو هاشم ومن
 تابعهما من البصريين المعلوم شيء وكذا هذا الرفض عند ابن
 قتيبة ت ٢٧٦هـ وأيضاً عند الهروي ت ٤٠١ وكذا ابن عبد البر
 ت ٤٦٣ ولكل وجهته وتحيزه لمذهبه الخ وغيرهم ٠٠٠ ويلاحظ
 على هذا الرأي تمسكه بما كان عليه الصدر الأول من الصحابة
 الكرام فهم كما علمنا لم يلجئوا إلى التأويل ٠٠٠ الخ وإنما نطقوا
 بما نطق به الكتاب الكريم ولم يخرجوا على أقوال النبي صلى
 الله عليه وسلم ولهم وجهتهم أيضاً في شمول القرآن الكريم على
 منهاج الدين والآخره كذلك في هديه عليه السلام ما يكفي وما
 يصلح للنجاة وأيضاً كان احترازهم عن الخوض في هذا الفن

2 راجع الاسلام والعقل د. عبد الحليم محمود
 راجع أيضاً صيد الخاطر بين الجوزي ص ٩٧ و.

نظرا لما شابه من نظريات فلسفية أدت ببعض السالكين للخروج عن دائرة الإيمان بالله تعالى وفي هذا يطالعنا كلام ابن الجوزي مثلا يقول (ما نهى السلف عن الخوض في الكلام إلا لامر عظيم وهو أن الإنسان يريد أن ينظر مالا يقوى عليه بصره فربما تحير فخرج إلى الحجب ٠٠٠٠ الخ (٢) وأن هذا الأمر ليس بالسبب القوي كما يرى بعض الباحثين وذلك لأن علم الكلام ظهر في وقت كانت فيه بؤابر العلوم الأخرى تظهر والحاجة إليها جميعا تتبين فقد عاش في عهد المنصور العباسي واضعوا العلوم اللغوية ٠٠٠ الخ فهم قد وضعوا المؤلفات العديدة والتي مازلنا ننعم بخيرها إلى الآن فكيف لا يتوفر هذا الأمر لعلم الكلام ٠ ومن جاء بعد عصر الصحابة الكرام لم يشتغل بهذا العلم ، فالجواب أيضا إن هذا القول في النفس منه شيء لأن كثيرا من السلف اخرجوا عن دائرة الإيمان من يشتغل به بالرغم مما اثر عنهم من صلاح وتقوى ٠٠٠ الخ (٣)

١ - رابع ص ٢٢٢

٢ - عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام د/ يحيى هاشم فرغل ص ٨٤ ،

وإذا كانت هناك جماعات قد عارضت هذا العلم فإن هناك من
أيده نظرا لما يتضمنه هذا العلم من المدافعة العقلية بإيراد الحجج
ودفع الشبه فمعرفة الدين تتم في إطار العقل بجانب الإطار
الشرعي ومن أنصار هذا الرأي الباقلاني والاشعري والجويني
وغيرهم من أئمة وأرباب الكلام فالإتيان بالبراهين العقلية أمر
مطلوب شرعا وفي أكثر من آية يطلب الله تعالى على لسان
أنبيائه طلب البرهان من المعاندين فيقول مثلا — (وإن كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
(٥) وهذا الإتيان علم يشمل كل ما ينور حول العقيدة الإسلامية
من إلهيات ونبوات وسمعيات

• وبعد فقد كانت هناك وجهتان إحداهما ترفض هذا العلم
كلية والاستغناء بالكتاب والسنة ففهيها الشفاء والغنية
عن علم الكلام

والأخرى ترى استحسان هذا الفن وقد وضع الأشعري رحمه
الله رسالة سطرها بعنوان استحسان الخوض في علم الكلام.

^٥ سورة البقرة الآية ٢٣٢

وإذا كان علم الكلام بما حواه من مسائل فلسفية اختلطت به
بحكم التاريخ والحدث فإن هذا يجعل المسلم في يقظة من عقله
فهو يأخذ منه محاسنه فهو يستنبط الأدلة والبراهين العقلية
ويقوم بالرد على المبتدعة والمنحرفين ولا يدخل بنفسه في
مزلق الهاوية فهناك أمور تتطلب صعوبة في الفهم خاصة
على غير المتخصص خاصة إذا علمنا أن التردد بين لاخذ به
أو تركه لم يكن بعد قد وضع العلاقة بين النص (قرأنا وسنة
. . ألك) وبين معالم العقل وقد مضى أبواب هذا العلم إلى
ربه وهم يتمنون مغفرة الله تعالى على ماكان منهم من
الخوض في مثل هذه المسائل والتي لم يحالفهم التوفيق فيها
ومن هنا اشتط حجة الإسلام ثلاث خصال لمن أراد خوض
هذا البحر الذي غرق فيه الاكثرون وما نجا منه إلا الأقلون
من هذه الشروط

- ١- التجرد للعلم والحرص عليه فإن المحترف يمنعه الشغل
عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت.

٢- الذكاء والفتنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه -

ولا ينتفع بمحاجة فيخاف عليه من ضرر الكلام

٣- الصلاح والديانة والتقوى ولا تكور الشهوات ان يكون في

طبعه غالبية عليه فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين (١)

وإذا كانت هذه الشروط لا تتوافر إلا في فئات عبيدة فان هذا

الكلام يدفعنا للقول كما يرى بعض الباحثين^{٢٩} إلى ترك المصنوع

منه والذي لا يوافق الفطر السليمة والتي تسير على نهج

الكتاب والسنة وعلى غير التخصص الرجوع إلى أهل النكر

فيما يشكل عليه من مسائل عقديّة فان في ذلك النجاة .

6- راجع إحياء علوم الدين الغزالي ج ١ ص ١٦٧ وما بعدها

(7) راجع التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل د/عبد الحليم محمود ص ٢٩

الحكم العقلي وأقسامه

إن الدارس لعلم العقيدة يلاحظ لختلاط المفاهيم الفلسفية أحيانا بالمفاهيم الكلامية إداصح التعبير فيقابلها مصطلحات كثيرة من مثل الواجب والجائز والمستحيل ولأجل هذا عرفت هذه الكلمة الموجزة لتتعارف من خلالها على هذه الأقسام الثلاثة للحكم العقلي وذلك لمعرفة ما يصلح منها لإطلاقه على الله تعالى ثم على العالم بما فيه ومن خلال هذه المعرفة يؤمن عدم الخلط والتدليس فيما يخص الإله تعالى ويخص خلقه.

* قبل أن نتعرف على أقسام الحكم العقلي نود الإطلالة على مفهوم

الحكم العقلي في إيجاز فنقول :-

أولاً: الحكم هو القضاء وقيل بمأخوذ من الحكم من الحكمة من العلم والحكيم صاحب الحكمة وهو المتقن للأمور وله معانيه عند أربابه . فهو عند الأصوليين خطاب الله تعالى للمتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو

تخييرا أو وضعا ^(١) أو هو **حكم الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين** ^(٢)

* وعند أهل الفقه الصفة التي هي أثر ذلك الخطاب، وأما عن تعريفه فهو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه دون توقف على تجربة أو وضع واضح .

أقسامه

ينقسم الحكم العقلي الى ثلاثة أقسام وهي الواجب والجائز والمستحيل ولكل تعريف ولكل أقسامه الخاصة واليك تفصيلها :

أولاً:--الواجب :- مالا يتصور في العقل عدمه وقيل في تعريفه إنه مالا يقبل الانتفاء أصلاً لذاته وقيل إنه ماكان وجوده لذاته وإذا كان لوجوده لذاته فإن تصور العقل أو عدم تصوره لا يقطع به بل إن ثبوته ووجوده لذاته .

وينقسم الواجب إلى ضروري ونظري

^(١)راجع أصول الفقه - الشيخ محمد الخضرى ص ١٨ ط المكتبة التجارية .

^(٢) التعريفات ج ١ ص ٢٢٣ انظر اعم الامارى ط بيروت ١٤٠٥

فالضروري :- ما لا يحتاج في إدراكه إلى فكر مثل تحيز الجرم
والنظري:- ما يحتاج في إدراكه إلى نظر واستدلال مثل قدم الله تعالى

ثانياً:- المستحيل:-^(١) هو ما لا يتصور في العقل وجوده وهو على
قسمين:-

الأول :- ضروري :- من مثاله خلو الجرم عن الحركة والسكون معا
فهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى نظر واستدلال على استحالة .

الثاني :- نظري :- من مثاله الشريك للباري تعالى وينقسم أيضا إلى

مايلي :- مستحيل لذاته - مستحيل لغيره

من أمثلة الأول الجمع بين الضدين ومن أمثلة الثاني الممكن الذي علم
الله تعالى عدمه

^(١)راجع شرح العمدة الفلاني ص ٣٢

ثالثاً:- الجائز وهو ما يصح في العقل وجوده تارة وعدمه وهو على قسمين أولهما: (١).

ضروري، مثل الحركة والسكون للأجسام .

• وثانيهما: نظري ومن أمثلته تغيب المطيع وأثابة العاصي .

وما كان منه موجود فيسمى واجب الوجود لغيره وما عزم ولم يوجد

فهو مستحيل الوجود لغيره فيكون جائزاً لذاته تارة وأخرى لغيره .

« وجود الله تعالى في نظر المادييين »
روج بعض الذين في ملوهم مرض إلى تيار الحار ي تتعلق بعدم
وجود خالت لهذا الكون وفي هذا يقول ماركس زعيم الشيوعية :-

(لا إله والحياة مادة) (١ ، ٢ ، ٣) ويقول لينين (نحن لا نؤمن
بوجود الله) (٢) ويقول ليس صحيحاً أن الله هو الذي ينظم
الأكوان وإنما الصحيح أن الله فكرة خرافية اختلقها الإنسان
ليبرر عجزه ولهذا فإن كل شخص يدافع عن فكرة الله إنما هو
شخص جاهل وعاجز (٣) والمستعرض لآيات الذكر الحكيم يجد
أن هذه الدعوى دعوى قديمة تردت على أسنة أقوام الأنبياء
والمرسلين وفي هذا نقرأ قوله تعالى (قالت رسلهم أفي الله شك
فاطر السماوات والأرض) (٤) فتلك دعوى قديمة يرددها
ضعاف العقول والإيمان ولقد حكى الإمام الغزالي متحدثاً عن
طائفة منهم - قائلاً - الصنف الأول وعددهم من الزنادقة

(١ ، ٢ ، ٣) راجع حركات ومذاهب في ميزان الإسلام فتحي يكن ص ١٥ ط . مؤسسة

الرسالة

راجع أيضاً الإسلام والشيوعية د/ عبد الحليم محمود ص ٧٧ ط . دار التراث العربي

(٤) سورة إبراهيم الآية رقم (١٠)

(الدهريون) وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر
العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه وبلا
صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك
كان وكذلك يكون أبداً^(١) وقد عدهم الشهرستاني من قبل
أصناف معطلة العرب الذين أنكروا الخالق والبعث والإعادة^(٢).
وقد حكى القرآن الكريم قولهم (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم
إلا يظنون)^(٣)

^(١) المنقذ من الضلال الغزالي د/ عبد الحلیم محمود . ص ٢٤٤ ط. دار المعارف .

^(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٣٥ .

^(٣) سورة الجاثية الآية رقم (٢٤) .

وإذا كانت قضية الإيمان بوجود الإله قضية بديهية لا تحتاج إلى نظر واستدلال فإن هناك سؤالاً يفرض نفسه على الساحة. وهو إذا كان الأمر كذلك فلم جدد الجاحدون وأنكر المنكرون؟ بالرغم من أن آيات الذكر الحكيم التي تواترت لم يكن هدفها إثبات وجود الله تعالى بل كان مقصدها بيان عظمة الله تعالى وتكبيره وقدرته وهيمنته على كل ما في العالم من صغيرة وكبيرة وبيان عنايته الله تعالى ورعايته وإحكامه المحكم وإبداعه المتقن لكل ما يسرى في العالم من من قوانين ونواميس^(٢) ولقد تواترت هذه الآيات أيضاً لتقود الإنسان إلى إسلام وجهه إلى الله تعالى إسلاماً كاملاً بحيث لا يصدر ولا يرد إلا باسمه سبحانه ولا يأتي ما يأتي أو يدع ما يدع إلا في سبيله تعالى^(٣) . . فلم جدد الجاحدون وأنكر المنكرون إن

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام - د/ عبد الحليم محمود ص ٥٠ ط دار المعارف الثانية .

(٣) التوحيد الخالص د/ عبد الحليم محمود ص ١٤٤ ط دار الكتب الحديثة ١٩٧٣ م

هذا السؤال سيأتي الجواب عليه فيما بعد، ولنتنقل إلى بعض الأدلة التي نطقت به الفطرة السليمة شاهدة على وجود الإله .

نداء الفطرة

مفهومها :-

فَطَرَ اللهُ الْخَلْقَ يَقْطُرُهُمْ: خلقهم وبدأهم. و الفطرة: الابتداء والاختراع. وفي التنزيل العزيز: الحمد فاطر السموات والأرض؛ قال ابن عباس، رضي الله عنهما: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيَان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرْتُها أي أنا ابتدأت حفرها. ونكر أبو العباس أنه سمع ابن الأعرابي يقول: أنا أول من فطرَ هذا أي ابتدأه. و الفطرة، بالكسر: الخِلقَةُ؛ أنشد ثعلب: هَوْنٌ عَلَيْكَ قَدْ نَالَ الْغَنَى رَجُلٌ، فِي فِطْرَةِ الْكَلْبِ، لَا بِالْنِّينِ وَالْحَسَبِ وَ الْفِطْرَةُ: ما فطرَ اللهُ عليه الخلق من المعرفة به. وقد فطره يَقْطُرُهُ، بالضم، فطرًا أي خلقه. الفراء في قوله تعالى: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ

لَخَلَقَ اللهُ؛ قَالَ: نَصَبَهُ عَلَى الْفَعْلِ، وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ: الْفِطْرَةُ
 الْخَلْقَةُ الَّتِي يُخْلَقُ عَلَيْهَا الْمَوْلُودُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؛ قَالَ:
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ؛ أَيِ خَلَقَنِي؛
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي. قَالَ:
 وَقَوْلُ النَّبِيِّ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ يَعْنِي الْخَلْقَةَ
 الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا فِي الرَّحِمِ مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ، فَإِذَا وَلَدَهُ
 يَهُودِيٌّ هُوْدَاهُ فِي حُكْمِ الدُّنْيَا، أَوْ نَصْرَانِيٌّ نَصَرَاهُ فِي
 الْحُكْمِ، أَوْ مَجُوسِيٌّ مَجَّسَاهُ فِي الْحُكْمِ، وَكَانَ حُكْمُهُ حُكْمَ
 آبَائِهِ حَتَّى يُعَبَّرَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَإِنْ مَاتَ قَبْلَ بُلُوغِهِ مَاتَ عَلَى مَا
 سَبَقَ لَهُ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا فَهَذِهِ فِطْرَةُ الْمَوْلُودِ؛
 قَالَ: وَفِطْرَةٌ ثَانِيَةٌ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُصِيرُ بِهَا الْعَبْدُ
 مُسْلِمًا، وَهِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ جَاءَ
 بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ فَتِلْكَ الْفِطْرَةُ لِلدِّينِ؛ وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ
 الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ (١)؛

(١) لسان العرب ج: ٥ ص: ٥٧

(٢) سورة الأعراف الآية -

أَنَّهُ عَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ إِذَا نَامَ وَقَالَ: فَإِنَّكَ ابْنُ مَتٍّ مِنْ لَيْلَتِكَ مَتٍّ
 عَلَى الْفِطْرَةِ. قَالَ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
 فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا؛ فَهَذِهِ فِطْرَةُ فَطَرَ عَلَيْهَا
 الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَقِيلَ: فَطَرَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ اللَّهَ
 رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، وَاعْلَمْ. قَالَ: وَقَدْ يَقَالُ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ
 عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا بَنِي آدَمَ حِينَ أُخْرِجَهُمْ
 مِنْ صُلْبِ آدَمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ
 ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى
 (١). وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ سَمِعَ عَنْ
 تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: تَأْوِيلُهُ الْحَدِيثُ الْآخِرُ: أَنَّ النَّبِيَّ،
 سَمِعَ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ؛
 يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُمْ إِنَّمَا يُوَلَّدُونَ عَلَى مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ إِسْلَامٍ
 أَوْ كُفْرٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ عَنْ تَفْسِيرِ
 هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: كَانَ هَذَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ نَزُولِ
 الْفَرَائِضِ؛ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ

أَنَّ يَهُودَهُ أَبَوَانِ مَا وَرَثَهُمَا وَلَا وَرَثَاهُ لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ وَهُمَا كَافِرَانِ؛
 قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: غَابَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ مَعْنَى الْحَدِيثِ
 فَذَهَبَ إِلَى أَنَّ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُؤَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، حُكْمٌ
 مِنَ النَّبِيِّ، قَبْلَ نَزُولِ الْفَرَائِضِ. ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ الْحُكْمَ مِنْ بَعْدُ؛
 قَالَ: وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: كُلُّ
 مَوْلُودٍ يُؤَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ خَبَرٌ أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ، عَنْ قَضَاءِ سَبَقٍ
 مِنَ اللَّهِ لِلْمَوْلُودِ، وَكُتَابَ كِتَابِهِ الْمَلَكُ بِأَمْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ مِنْ
 سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ، وَالنَّسْخُ لَا يَكُونُ فِي الْأَخْبَارِ إِنَّمَا النَّسْخُ فِي
 الْأَحْكَامِ؛ قَالَ: وَقَرَأْتُ بِخَطِّ شَمْرِ فِي تَفْسِيرِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ:
 أَنَّ إِسْحَقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْخَنْزَلِيَّ رَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ،
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُؤَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ
 «الْحَدِيثُ» ثُمَّ قَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ بَعْدَ مَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ: فِطْرَةُ
 الَّتِي فَطَّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِهَا. قَالَ إِسْحَقُ:
 وَمَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ: عَلَى مَا فَسَّرَ أَبُو هُرَيْرَةَ حِينَ قَرَأَ: فِطْرَةُ
 اللَّهِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا تَبْدِيلَ: يَقُولُ: لِتِلْكَ الْخَلْقَةِ الَّتِي
 خَلَقَهُمْ عَلَيْهَا إِمَّا لَجَنَةٍ أَوْ نَارٍ حِينَ أُخْرِجَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ كُلِّ

نرية هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: هؤلاء للجنة وهؤلاء
 للنار، فيقول كل مولود يولد على تلك الفطرة، ألا ترى غلام
 الخضر، عليه السلام؟ قال رسولا: طبعه الله يوم طبعه كافرا
 وهو بين أبوين مؤمنين فأعلم الله الخضر، عليه السلام،
 بخلقته التي خلقه لها، ولم يعلم موسى، عليه السلام،
 ذلك فأراه الله تلك الآية ليزداد علما إلى علمه؛ قال:
 وقوله: فأبواه يهودانه وينصرانه، يقول: بالأبوين يبين لكم ما
 تحتاجون إليه في أحكامكم من المواريث وغيرها، يقول:
 إذا كان الأبوان مؤمنين فاحكموا نولهما بحكم الأبوين في
 الصلاة والمواريث والأحكام. وإن كنا كافرين فاحكموا لولدهما
 بحكم الكفر ١ ... أنتم في المواريث والصلاة؛ وأما خلقته
 التي خلق لها فلا علم لكم بذلك. ألا ترى أن ابن عباس،
 رضي الله عنهما، حين كتب إليه نجدة في قتل صبيان
 المشركين، كتب إليه: إن علمت من صبيانهم ما علم
 الخضر من الصبي الذي قتله فاقتلهم أراد به أنه لا يعلم
 علم الخضر أحد في ذلك، ثم خصه الله به كما خصه

بأمر السفينة والجدار، وكان مُنْكَرًا فني الظاهر فعَلَّمه الله
 علم الباطن، فَحَكَمَ بإرادة الله^(١)
 * ومن ذلك أن الأصمعي سأل ^{عزاي} قائلًا له بما عرفت ربك؟ فُجِّبَ
 (البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير ليل داج ونهار
 ساج وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على الصانع
 الخبير !!)

* وكذلك نطق لسان الفطرة على ألسنة الملحدِين إيماناً واعترافاً
 بوجود الله عز وجل يقول (لقد وجدت بعد تدبر عميق أن
 معلوماتي الطبية وعقيدتي في الله هما الأساس الذي ينبغي أن تقوم
 عليه الفلسفة الطبية الحديثة)^(١) هذا هو تعبير الفطرة السليمة عن
 وجود الله وما يجحد ذلك إلا كل ختار كفور وإذا كان الاعتراف

(١) لسان العرب ج: د ص: ٥٦

(١) الإيمان والحياة - القرضاوي - ص ١٣٨ ، ١٣٩ ط. مكتبة وهبة ١٩٩٠ م .

بالخالق موجود في اصل الحلقة فانه ايضا مسفر بالقلوب
ايضا . (٣)

* يقول ابن عطاء رحمه الله (الهى كيف يستدل عليك بما هو
في وجوده مفتقر إليك ؟ . أليس لك غيرك من انطهور ما ليس
لك ؟ حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى نحتاج الى دليل
؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التي توصل اليك ؟ كيف نخفى
وانت الظاهر ؟ ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر ؟ (١) .
فالإنسان في حاجة إلى الاعتراف و الإيمان بالله كحاجته إلى الماء
والهواء وهذا ما نطق به المستشرق لسان سوتيلانا بنت استالين
بعد إعراض عما نشأت عليه وفرت بنفسها الى بر النجاة (٢) .

(٣) راجع موافقة صحيح المنقول نصريح المعقول . ابن تيمية . ص ٣٤ ج ٢
(١١) راجع حكم ابن عطاء الله السكندري - د / عبد الحليم محمود ص ٤٤ : ٤٥ : ٤٦ ط
الشعب .

(٢) راجع شبهات وردود د / عبد الله ناصح عنوان ص ١٠ ط ١ دار اسناد .

**** ونعود لقولنا الأول الذي يبين سبب إعراض هؤلاء عن إثبات**

الصانع مع إقرارهم بالخلق . والأمر عائد على لأمرين :

أولهما : إما لأنهم مرضى في عقولهم وقلوبهم ومرضى في

حواسهم ولقد نطق الحق على ألسنتهم رغماً عنهم يقول باسكال (

كل شيء غير الله لا يشفي لنا غليلاً^(١) . وطالب بالرجوع إلى

النفس والنظر في حالة الانسان .

وهؤلاء الذين عطلوا حواسهم واستعملوها في غير موضعها

عناهم الله تعالى بقوله (ولقد ذر أنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس

لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان

أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون^(٢) .

(١) راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص ٩٢ ط دار المعارف

راجع أيضاً : دائرة المعارف لفريد وجدي ج ١ ص ٨٢ وما بعدها .

(٢) سورة الأنعام الآية رقم (١٦)

**** والأمر الثاني:** عائدًا إلي ماديتهم البغيضة فهم لا يؤمنون إلا

بما أدركته حواسهم وهذا الادعاء باطل أيضاً ومردود عليهم
ويكذب العقل ويرفضه العلم البصير ذلك لأن الكون مليء
بموجودات كثيرة لا تقع تحت نطاق الحس ولا تعرف عن طريق
الرؤية وإنما نستدل عليها عن طريق العقل وظهور الآثار. بل إن
العقل نفسه والذي هو أداة للفكر لا يستطيع أي ملحد أن يحدد لنا
كيف يفكر به وأين يقع هذا الترجمان الانساني .

**** ونستعرض الآن طرفاً من الدلائل العقلية والنقلية التي تدلنا
على وجود الخالق سبحانه وتعالى .**

تعددت الأدلة التي تثبت وجود الله عز وجل ما بين دليل للمتكلمين
والفلاسفة وللمتخصصين في سائر الفنون المختلفة وكل له مشروبه
وكل له برهانه الخاص - ونقف الآن على دليل ابن رشد على
وجود الله .

دليل العناية ودلالة الاختراع (١)

يذكر ابن رشد (٥٢٠ هـ - ١١٢٦ م) أن دليله هذا يخص وجود الصانع - وقسم العناية إلي طريقتين حيث يقول (أما الطريقة الأولى فتقوم عنده على أصليين :- أحدهما - أن جميع الموجودات التي مهنا موافقة لوجود الانسان -

الثاني : أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل لذلك مريد إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق فإما كونها موافقة لوجود الإنسان فيحصل باليقين باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة والمكان الذي هو فيه أيضاً وهو الأرض (وصنق الله إذ يقول : (وسخر لكم ما في السماوات والأرض جميعاً منه)^(١)

^(١) راجع كتاب الكشف عن معاني الآله في عقائد أئمة ابن رشد ص ٦ : ط. مكتبة صبيح

^(١) سورة الجاثية الآية رقم (١٤)

وأما دلالة الاختراع (الإيجاد) فيدخل فيها وجود الحيوان كله

ووجود النبات ووجود السماوات وتقوم على أصليين :

الأصل الأول - أن هذه الموجودات مخترعة وهذا معروف بنفسه

في الحيوان والنبات كما قال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله

لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له)^(١) فإننا نرى أجساماً جمادية

ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعاً أن ههنا موجداً للحياة ومنعماً بها

وهو الله تبارك وتعالى .

وأما السماوات فنعلم من قبل حركاتها التي لا تقتر إنها مأمورة

بالعناية بما ههنا ومسخرة لنا والمسخر المأمور مخترع)

(مخلوق) من قبل غيره ضرورة .

وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فله مخترع فيصح من هذين

الأصليين أن للموجود فاعلاً مخترعاً له وهو الله رب العالمين

(٢٢)

فعندما يقول المولى عز وجل (أم خلقوا من غير شيء أم هم

الخالقون) فنعلم منها أن الشيء لا يمكن أن يوجد بدون علة

ولا يمكن من جانب آخر أن يكون علة صياغة نفسه . (٢٣)

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية أم خلقوا شيء أم هم الخالقون أي

أوجدوا موجد أم هم أوجدوا أنفسهم أي لا هذا ولا هذا بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم

بعد أن لم يكونوا شيئاً منكوراً قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال حدثني

عن الزمري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه

(٢٢) راجع مناهج الأدلة ص ٤٧

(٢٣) راجع التفكير الفلسفي في الإسلام ص ٥١

وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا شيء أم هم الخالقون ثم أم
 خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ثم أم عندهم خزائن رحمة ربك أم هم
 المصيطرون كاد قلبي أن يطير وهذا الحديث مخرج في الصحيحين خ ٧٦٥ د ٦٣٤
 من طرق عن الزهري به وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر
 في نداء الأسارى وكان إذ ذاك مشركا فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حملته على
 الدخول في الإسلام بعد ذلك ثم قال تعالى أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أي أحد
 خلقوا السموات والأرض وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخلق
 وحده لا شريك له ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك (**)
 ولقد ساق ابن رشد أدلة كثيرة من القرآن الكريم على دليل العنفة
 ونكتفي بما أشرنا إليه عنده .

* * وأما الفخر الرازي رحمه الله فيضع أيدينا على بعض البراهين

العقلية والتي تثبت وجود الخالق فيقول

(إن الفطرة شاهد بأن حدوث دار منقوشة بالنقوش العجيبة مبنية

على التركيبات اللطيفة الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل إلا عند

وجود نقاش عالم وبأن حكم ومعلوم إن آثار الحكمة في العالم

والعلوي والسفلي أثر من آثار الحكمة في تلك الدار المختصرة

فلما شهدت الفطرة السليمة باختصار النفس إلي النقاش والبناء إلي

الباني فبأن تشهد باختصار كل هذا العالم إلي الفاعل المختار

الحكيم كان أولى (١).

ويعطينا شاهدا آخر يقول -

(إن الإنسان إذا وقع في محنة شديدة وبلية قوية لا يبقى في ظنه

رجاء المعاونة من أحد فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلته ينفزع

إلي من يخلصه منها ويخرجه عن علائقها وحياتها وما ذاك إلا شاهد بالفطرة وبالاقتدار إلي الصانع المدبر^(٢) وما إيمان عكرمه ابن أبي جهل عنا ببعيد فقد كان أحد المعرضين عن دعوة الإسلام وقد أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه هو وجماعة آخرين ولكنه فر من مكة بعد فتحها^(٣)

فركب البحر فأصابته عاصف فقال اخلصوا فإن آلنكم لا تغنى عنكم شيئاً مهنا فقال عكرمة لأن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه آتي محمداً فاضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريماً قال

(٢) نفسه ص ٩٩

تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الأول ص ٤٨١ ط. دار اند العربي ايضاً راجع مجمع

الزوائد ج: ٦ ص: ١١٩

فجاء فأسلم وذكر الحديث قلت رواه أبو داود وغيره باختصار
 . (**) .

وصدق الله إذ يقول (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
 تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكوفن من الشاكرين .

قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون)^(١)

ونكتفي بهذا القدر مما أشار إليه الامام الرازي - رحمه الله -

وننتقل إلي بعض ما أشار إليه القرآن الكريم في ذلك .

قانون النظام

إن المتبصر في أرجاء الكون كله يجد تناظراً وتناسقاً في حركاته
 وسكناته فينقلب البصر خاسئاً وهو ذليل . أما هذه الدقة المتناهية

(**) مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦٩

(١) سورة الأنعام الآيتين رقم (٦٣ ، ٦٤)

التي لا تخطئ طرفة عين فمل في فلك يسبحون . ومن هذا نرى حركات الأفلاك الشمس والقمر والنجوم ألخ . ونرى النبات والثمار ألخ . وفي هذا نقرأ قوله تعالى : (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل . إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)^(١)

يقول الامام القرطبي رحمه :-

(. . . متجاورات أي قرى متدانيات تربتها واحتملؤها واحد وفيها زروع وجنات ثم تتفاوت في الثمار والتمر فيكون البعض حلو والبعض حامضاً والعصبي لئلا واحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والمطعم وإن تيسر تيسر والفسر على الجميع على نسق واحد وفي هذا أدل دليل على وحدانيته

^(١) سورة نوح الآية رقم (٤) .

وعظم صمئيته والإرشاد لمن ضل عن معرفته فإنه نبيه سبحانه بقوله تسقى بماء واحد على أن ذلك كله ليس إلا يمشيته وإرادته وأنه مقدور بقدرته وهذا أدل من غير على بطلان القول بالطبع إذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاصل له الطبيعة لما وقع الاختلاف وقيل وجه الاحتجاج أنه أثبت التفاوت بين البقاع فمن تربة عنبية ومن تربة سبخة مع تجاورهما وهذا أيضا من دلالات كمال قدرته جن وعز تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا (١)

*** وقوله عز شأنه (أفلا ينظرون إلي الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) (٢)

(١) تفسير القرطبي ج: ٩ ص: ٢٨١

(٢) سورة الفاتحة الآيات (١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠)

ولو استعرضنا لطال بنا المقام حول هذه الحائق الذي أنقذ كل شيء خلقه ، والتي تثبت أن لهذه المخلوقات خالقاً ومبدعاً من وراء أمرها خبير بصير ولولاه لما كان هذا الكون ولولا حكمته في وضع الأشياء في مواضعها لما كان هذا الإبداع وصدق المولى إذ يقول (إنا كل شيء خلقناه بقدر)^(١)

" الطبيعة والعلم يتحدثان عن الله "

إن الناظر في آيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالى قد أقسم بكانناته ومخلوقاته التي خلقها ومن ذلك قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم)^(٢)
وقوله (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر الأنثى)^(٣) إلى غير ذلك من الآيات

(١) سورة القمى الآية (٤٩)

(٢) سورة الواقعة الآيتين (٧٥ ، ٧٦)

يقول الأستاذ / وحيد الدين خان في هذه القضية :

(.... لكننا حين نؤمن بأن الكون موجود نضطر تلقائياً أن نؤمن

بالإله أو بالقوة الخالقة كما نسميها فليس بمعقول أن نؤمن بالوجود

من العدم المحض ذلك قياس باطل ^(١))

وقد أكدت الطبيعة بكل ما فيها وهي كتاب الله المنظور أن للكون

خالقاً مريداً حكيماً له الكمال ... وكذا أكدت الأبحاث العلمية هذا

الأمر وإليك طرفاً من الأدلة :- التي تثبت أن هذا الكون وجد

بمحض علمه وإرادته على حد ما يزعم بعض الملاحدة :

(٣) سورة الليل الآيات (١-٣) -

(١) الإسلام يتحدى وحيد الدين خان ص ٧١ طرز مكتبة المفكرات . ظفر الاسلام خان م .

د/ عبد الصبور شاهين -

من الكشف الفلكية

يبلغ عدد الفلك على أن عدد جود السماء مثل عدد - الرمال
الموجودة على سواحل البحار في الدنيا كلها منه ما هو أكبر
بقليل من الأرض ولكن أكثرها كبير جداً حتى يمكن أن تصع في
وجد منه من زير النجوم في مثل حدة الأرض التي تعيش عليها
(وهذا احصاء تقريبي)

نصف - عندما تكون السماء صافية يستطيع أن يرى سبعين
المجردة حمسة آلاف من النجوم ولكن هذا العدد ينصف إلى
أكثر من ٢٠٠٠٠٠ من النجوم خير ستمائة شمس - عدد
أفد - تسكن في العالم هو الذي في مائة (مائة - ثمان
في أمريكا ويستطيع أن يشاهد - زير من النجوم) (٢٠٠)

فمن الذي نظم حركة هذه النجوم في هذا الكون الواسع الأرجاء .
هل يمكن أن يكون ذلك على سبيل الصدفة . إن هذا أمر لا يقره
عقل .

وصدق الله إذ يقول (فارجع البصر هل ترى من فطور)^(٢)
هذا النظام الذري يستحيل قيامه بنفسه ولا طريق إلي مشاهدته ولا
يمكن تفسير عمله بغير العلم .

* * * وهناك أنظمة معقدة توصل إليها العلم الحديث كنظام الفاكس
والانترنت وغير ذلك مما اكتشفه العلم حديثاً . وفي الانسان يدعو
الأمر للتفكر وصدق الله إذ يقول (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)^(١)
* فمثلاً يوجد في العين مائة وثلاثة مليوناً من الخلايا الملتصقة
للضوء وتقوم بمهمة إرسال المجموعة التصويرية إلي المخ .

^(٢) سورة الملك الآية رقم (٣)

^(١) سورة الزاريات الآية رقم (٢١) .

وهناك شبكة من الأنسجة الحسية على امتداد جلدنا فإذا قربنا إلى
الجلد شيئاً حاراً فإن ثلاثين ألفاً من الخلايا الملتقطة للحرارة تحس
بهذه العملية وترسلها فوراً إلى المخ وإذا قربنا إلى الجلد شيئاً
بارداً فإن ربع مليون من الخلايا التي تلتقط الأشياء الباردة تحس
به وعندئذ يمتلئ بأثرها ويرتعد الجسم وتتسع الشرايين الجلدية .
فيسرع مزيد من الدم إليها ويزودها بالحرارة وإذا أحست هذه
الخلايا بحرارة شديدة فإن مخابرات الحرارة توصلها إلى الدماغ
وحينئذ تفرز ثلاثة ملايين من الغدد العرقية تلقائياً عرقاً بارداً إلى
خارج الجسم ^(٢) وصدق الله إذ يقول حكاية عن عذاب الكافرين
(... كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب

(١) فأشار إلي مصدر الاحساس قبل أن يخط قلم هؤلاء العلماء في مداد الله وبحره الذي لا ينضب .
 وصدق المولى إذ يقول (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) (٢) .
 * * وحتى الاكتشافات العلمية والأجهزة الحديثة كان ابتكارها من مخلوقات الله عز وجل - فقد ابتكرت جامعة موسكو آلة نموذجية لالتقاط وقياس الذبذبات تحت الصوتية وهذه الآلة تستقبل وتلتقط أخبار الفيضانات والزلازل وما شابهها من الكوارث قبل حدوثها بمدة تتراوح بين اثنتي عشرة ساعة إلى خمسة عشر ساعة جاء هذا التفكير إلي العلماء من سمكة قنديل البحر التي

(١) سورة النساء الآية رقم (٥٦) .

(٢) سورة لقمان الآية رقم (١١) .

تسمى هلامي فلقد قلد المهندسون أعضائها وهي شديدة الحساسية حتى لتحس بالذبذبات تحت الصوتية^(٣) .

وهناك أمثلة عديدة تحتاج لمجلدات كثيرة والمقادير لا تسع لسردها لكننا نعود فنؤكد حقيقة إيمانية راسخة أن لهذا الكون إلهاً خالقاً مدبراً .

ولاعبرة بما يقوله الملاحدة . كقول شكسبي :
(لو جلست ستة من القردة على الآت كاتبة وظلت تضرب على حروفها لملايين من السنين فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير فكذلك الكون

(٣) الإسلام يتحدى ص ٨٢ .

الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء ظلت تدور في المادة لبلايين السنين^(١) .

والحقيقة أنه ما من أعمى القلب والبصيرة إلا هكسلي هذا والذي لا يستطيع أن يفسر لنا هذه الدقة المتناهية في الكون ولكن هذا دأب الجاحدين والمنكرين .

وهناك محاذير نذكر منها على سبيل الإجماليات :

تبين أن الصدفة العمياء ليس لها دخل في إيجاد هذا العالم بل .

الله خالق كل شيء وهو الله الواحد القهار .

أولا : أو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي عليه بمقدار بضعة

أقدام لإمتص ثاني أكسيد الكربون والأكسجين ولما أمكن وجود

الحياة . أين الصدفة مع هذا ؟

(١) المرجع السابق ص ٩٩

ثانياً : لو أن شمسنا أعطت نصف إشعاعها الحالي لكانت تجمدونا

ولو أنها زادت بمقدار النصف لكانت رماداً منذ زمن بعيد . أين

الصدفة في هذا .^(١)

وصدق الله إذ يقول ((لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا

الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون))^(٢).

ثالثاً : لو لا المطر لكانت الأرض صحراء قاحلة لا تنعم عليها

حياة ولو لا الرياح والبحار والمحيطات لم كانت حياة . ولو لا

أن الماء يتبخر بشكل يخالف تبخر الملح لم كانت حياة ولو لا أن

البخار أخف من الهواء لم كانت حياة .^(٣)

* وصدق الله إذ يقول (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً

فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج

(١) الإسلام يتحدى ص ٨٥ - ٩٠ .

(٢) سورة يس الآية رقم (٥٠) .

(٣) الإسلام يتحدى ص ٩٠ .

من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون
 وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر إلى آثار
 رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى
 وهو على كل شيء قدير (٤).

فكل هذه الدلائل تدلنا على الله الخالق .

* * هذا وقد دعا القرآن الكريم الملاحدة إلى النظر فيما يقررون

من دعاوي فقال متحدياً إياهم (أم خلقوا من غير شيء أم هم

الخالقون) (١) وقال (نحن خلقناكم فلو لا تصدقون) (٢) إلي غير

ذلك من الآيات الواضحة .

أبعد هذا يأتي هيكل الملحد البارز في علم البيولوجيا . ويقرر أنه

يستطيع أن يخلق الإنسان حيث يقول هذا الملحد (ايتوني بالهواء

(٤) سورة الروم الآيات رقم (٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠) .

(١) سورة الطور الآية رقم (٣٥) .

(٢) سورة الواقعة الآية رقم (٥٧) .

والماء وبالأجزاء الكيماوية وبالوقت سأل (الإنسان) ولكن هيكل
نسى أو تجاهل في هذه المقالة أنه بتفريده احتياجه إلي المادة
والأحوال المادية ينفي زعمه من تلقاء نفسه حتى الصيحات التي
أثيرت في قرننا هذا حول الاستساخ فإنما كان من مواد البهية
خلقها الله عز وجل .

* وهذا ما قرره كريس موريس رئيس أكاديمية العلوم الأمريكية
بنيويورك حيث يقول :

(إن هيكل يتجاهل في دعواه الجينات الوراثية ومسألة الحياة
نفسها فإن أول شيء سيحتاج إليه عند خلق الإنسان هو الذرات
التي لاسبيل لمشاهدتها ثم سيخلق الجينات أو حملة الاستعدادات
الوراثية بعد ترتيب هذه الذرات حتى يعطيها ثوب الحياة ... ولكن
إمكان الخلق في هذه المحاولة - بعد هذا لا يعدو واحدا على عدة

بلايين ؛ ولو افترضنا أن هيكلاً نجح في محاولته فإنه لن يسميها

صدفة بل سوف يقررهما ويعدها نتيجة لعبقريته (١)

وصدق الله العظيم إذ يقول :

(إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن

يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما

قدروا الله حق قدره . إن الله لقوي عزيز) (٢)

ظاهرتا الحياة والموت

* تعطينا ظاهرتا الحياة والموت في الكائنات كلها دلالة واضحة

على وجود الخالق سبحانه وتعالى . فعالم الحفريات وغيره يجد

ملايين من الأحياء والتي تنقسم إلى آلاف من الأنواع والأجناس

وكل جنس وكل نوع له خصائصه ومزاياه .

إن الإسلام يحذر من ...

(٢) سورة الحج الآيتين (١٧ - ١٨)

ولقد أشار القرآن الكريم إلي اختلاف أئمة : الإحدى عشر فقال الله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء)^(١)

* ومع هذا الأمر فلم يدع أحد أمر الأئمة : أئمة وأتى بالسلب والصادق على ذلك حتى النمرود - ركن عن نفسه عندما قال لإبراهيم عليه السلام (أنا أحي وأميت)^(٢) فظن أنه عندما سيأتي بالرجلين وقد تحتهم قتلهم فيقتل أحدهما ، يعقد عن الآخر فكانه بذلك أحي وأمات ونكر فيهما : مر هذا حال إبراهيم عليه السلام بالانكار والتعجيز ويبر أن الأئمة : أئمة سكر مراد ح إلي الجسد أو ينزعها منه : مراد قال الحذر عنه السلام له (

^(١) سورة النور الآية رقم ٤٠

^(٢) سورة البقرة الآية رقم (٢٥٨).

فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتى بها من الغرب (وبها فتفكره فبهت أمام ملكوت الله وجبروته^(٢) . وكانت يهابنه على يد مخلوق من مخلوقات الله التي عجز عن خلفها فدحلت دبابه في منخرة وكانت نهايته . فكان يضرب بالمرار على راسه حتى أهلكه الله .

ومن الآيات الباهرة التي تدلنا على ظاهرة الحياة والممات قوله تعالى (إن الله خالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي)^(١)

كذلك أحيا الله عز وجل نبات الناس بالنهار فقال :-

(فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبان)^(١)

^(١) راجع قصص الأنبياء ابن كثير - علاء عبد الوهاب ص ١٢٢ ط. مركز الكتب - دمشق

وانتهت أبحاث الكيميائيين في الاتحاد السوفيتي إلي إعلان خبر
 هام أمام العالم كله أعلن رئيس المعهد الكيميائي بروسيا قوله ()
 إن النعلم الكيميائي عاجز عن إيجاد الحياة في المخبر (المعمل)
 وأن الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم والنعلم لا شأن له إلا بالمادة
 المحسنة (٣) كل هذا يجعلنا نسترجع قوله تعالى (أو لم يروا كيف
 يبدئ الله الخلق ثم يعيده) (٤)

ظاهرة الإلهام والهداية

وتتلخص في الهمام كل الكائنات هداها ورشدتها وحياتها وعملها
 بمقدار يعلمه الله . وتعد تلك الظاهرة من الدلائل الساطعة على
 وجود الخالق سبحانه وتعالى إليك طرفا منها :-

(٣) شهاب وردود ص . (٥٣ - ٦٣) .

(٤) سورة النكبات الآية رقم (١٩٠)

أولاً :- المحافظة على النسل

حيوان الأكسيلوكوب يعيش منفرداً في فصل الربيع ومتى باض " مات " فالامهات لا ترى صغارها ولا تعيش لتساعدوا في غذائها ودفاعها عن نفسها وهؤلاء الصغار لا تستطيع الحصول على الغذاء لمدة سنة كاملة لذلك ترى الأم تعتمد إلى قطعة خشب فتحفر فيها حفرة مستطيلة ثم تجلب طلع الأزهار وبعض الأوراق وتحشو بها تلك الحفرة ثم تبيض بيضة ثم تأتي بنشارة خشب وتجعلها عجينة لتكون سقفاً لهذه فإذا فقسست البيضة وخرجت الدودة كفاها الطعام المدخر سنة كاملة .^(١)

ولولا هذه الهداية التي أودعها الله في هذا الحيوان لقضى على نسله نهائياً .

(١) سميات وردود

ولعلنا نلاحظ النحلة وما تفعله حيث تقيس زوايا المسدسات

المنتظمة التي تصنعها كأنها رياضي حاذق ^(٢)

وصدق المولى عز وجل إذ يقول (وأوحى ربك إلي النحل أن

اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) ^(٣)

ولو استعرضنا سائر النباتات والحيوانات وسائر المخلوقات لما

كفانا مداداً لنعبر عن هداية الله لهذه المخلوقات وصدق المولى إذ

يقول (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ^(١)

ظاهرة الوحدة المتكاملة

لو تصفح المرء المخلوقات وأعمالها وأحوالها لوجد أن الكون كله

أنظومه متكاملة يخدم بعضه بعضاً من حيث لا يدري ومن ذلك

(٢) علم النفس - جميل صليبا

(٣) سورة النحل الآية رقم (٦٨)

(١) سورة طه الآية رقم (٥٠)

نلاحظ قوله تعالى: (وأرسلنا الرياح لواقح)^(٢) فالرياح لواقح للشجر والسحاب وهو قول الحسن وقادة والضحاك^(٣).
وأثبت العلم الحديث صدق هذا الأمر .

وفوق هذا كله الكل مسخر لبني الإنسان فهو - ياكل النباتات ويمتطي الجماد ويستشق الهواء ويشرب الماء وكل هذه العناصر تكتمل لتكمل دورة الحياة

أفلا يدل ذلك على الإله الخبير أم يرجع الأمر للاتفاق ؟

وفي آية من كتاب الله نقرأ هذه الأنظومة المتكاملة في قوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف

^(٢) سورة الحجر الآية رقم (٢٢)

^(٣) راجع التفسير الكبير - الرازي - الجزء السابع ص ١٨٤ .

الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لأب نفوذ يعقلون

(١)

الطبيعة الخالقة

من التيارات الإلحادية التي بثها وقررها أعداء الدين من الطبيعة خالقة ومدبرة لأمرها وليس للكون إلها فالطبيعة حصائصها تنشأ الأشياء وتعدمها فالطبيعة قائمة مقام الله تعالى وكل حصائصه وقابليته لهذه الأمور يوجد ويعدم فلئن سألتهم من خلق السموات والأرض والشمس والقمر ليقولن لك الطبيعة التي عسى على صفاتها من حرارة وبرودة ورطوبة ويوسة .. الخ ويتألف من هذه العناصر شروق الشمس وغروبها وكذا الماء والجدر في المحيطات والأنهار .

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٦٤

فإنه مما لا شك فيه أن هذا كلاماً متهاقاً يحمل في طياته رده
ونقضه ويكذب العقل والواقع لأنه :

أولاً :- إنه جدال بغير علم وصدق الله إذ يقول (ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) ^(١) أو مكابرة
واتباع الهوى وهو كما قال عز وجل (أفرأيت من اتخذ إليه هواه
وأضله الله على غير علم ...) ^(٢)

ثانياً : إن القول بأن الخصائص للأشياء والقابلية لها من شأنها
الإيجاد والإعدام قول متهاق فالقابليات لا تخلق ولا تبدع فإذا
تتبعنا إنبات الحبة مثلاً فإنها تمر بمراحل نعلمها منها. وضع الحبة
(البذرة) في التراب وريها بالماء عندئذ تنفخ وتنغلق فيظهر
منها الرشيح ويندفع منها الجذر إلى الأسفل والساق إلى الأعلى

^(١) سورة الحج الآية رقم (٨)

^(٢) سورة الجاثية الآية رقم (٢٣)

وتنشأ الأوراق فالأزهار فالثمار وتكون الحبة قد أنتجت تفاحاً مثلاً
(٢)

فملاحظة هذه الأشياء والتي يدعون لها خصائص واهية هي
سبب الإيجاد والخلق للحياة كما يزعمون . وهذا أمر مردود .

أولاً : لتخلف هذا القانون فقد تجتمع هذه الأشياء ولا تثبت الحبة
فل هذا على عدم خلق الحبة لنفسها فكيف يخلق الشئ نفسه ؟

ثانياً : لو كان للحبة عقل وتبدير لقلنا أن عقلها هو الذي هيأ لها
ذلك ولو أن الماء هو الذي نفخها وقلقها لأمكن للماء أن ينفخ في
الحديد ويفلقه ولماذا انتفخت الحبة مثلاً ولم تتجمد (٣).

ثالثاً : يحتاج هذا الأمر لعقل وإدراك ومنهاج مرسوم من قبل
الحبة وهي لا تملك شيئاً فالقابلية ما هي الا صفة من صفات الشئ
فكيف تخلقه وإن الحبة بالنسبة للنبات جماد لا يعقل فكيف تنوعه .

(٣) شبهات وردود - عبد الله ناصح علوان ص ١٠

رابعاً : جاءت الآيات العديدة والتي قررها العلم الحديث لتثبت

الخلق والتدبير للأشياء لله على غير مثال سبق .

قال تعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها

الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل

شيء قدير)^(١) .

وكذا الملاحظ لقوله تعالى (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على

إبراهيم)^(٢) فالنار صفتها الإحراق ولو كانت إلهاً وخالقة فلماذا لم

تحرق إبراهيم على الرغم من خصائصها المزعومة عند هؤلاء .

لا شك أن هذا اختلاف وضلال منهم .

وأيضاً قوله تعالى (إن الله فالحق الحب والنوى يخرج الحي من

الميت ومخرج الميت من الحي ذالكم الله فأنى تؤفكون ...)^(٣) .

^(١) سورة فصلت الآية رقم (٢٩) .

^(٢) سورة الأنبياء الآية رقم (٦٩) .

^(٣) سورة الأنعام الآية رقم (٩٥) .

وغير ذلك من الآيات الباهرة . ثم إن هؤلاء القوم يجادلون في

أشياء لم يرونها خلقها ولم يكن لهم وجود وشهود لها وفي هذا

يقول الله تعالى :

(ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت

متخذ المضلين عضداً)^(١) .

ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم قيل

الضمير عائد على إبليس وذريته أي لم أشاورهم في خلق

السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم بل خلقهم على ما أردت وقيل

ما أشهدت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم

أي أنفس المشركين فكيف اتخذوهم أولياء من دوني وقيل الكناية

في قوله ما أشهدتهم ترجع إلى المشركين وإلى الناس بالجملة

فتتضمن الآية الرد على طوائف المنجمين وأهل الطبائع

^(١) سورة الكهف الآية رقم (٥٢) .

والمتحكمين من الأطباء وسواهم من كل من ينخرط في هذه
 الأشياء وقال ابن عطية وسمعت أبي رضي الله عنه يقول سمعت
 الفقيه أبا عبد الله محمد بن معاذ المهدي بالمهدية يقول سمعت عبد
 الحق الصقلي يقول هذا القول ويتأول هذا التأويل في هذه الآية
 وأنها رادة على هذه الطوائف وذكر هذا بعض الأصوليين قال ابن
 عطية وأقول إن الغرض المقصود أولا بالآية هم إبليس ونريته
 وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة وعلى الكهان
 والعرب والمعتزلة للجن حين يقولون أعوذ بعزير هذا الوادي إذ
 الجميع من هذه الفرق متعلقون بإبليس ونريته وهم أضلوا الجميع
 فهم المراد الأول بالمضلين وتندرج هذه الطوائف في معناهم قال
 الثعلبي وقال بعض أهل العلم ما أشهدتهم خلق السموات والأرض
 رد على المنجمين أن قالوا إن الأفلاك تحدث في الأرض وفي
 بعضها في بعض وقوله والأرض رد على أصحاب الهندسة حيث

قالوا إن الأرض كرية والأفلاك تجري تحتها والباس منصوبون
 عليها وتحتها وقوله ولا خلق أنفسهم رد على الطبايعيين حيث
 زعموا أن الطبائع هي الفاعلة في النفوس وقرأ أبو جعفر ما
 أشهدناهم بالنون والألف على التعظيم الباقون بالتاء بسبب قوته ما
 كنت متخذ يعني ما استعنتهم على خلق السموات والأرض ولا
 شاورتهم وما كنت متخذ المضلين (١٠٠٠ الخ) (١) كما أن الواقع يسجد
 بخضوع الكائنات كلها لأمر الله ومن ذلك أننا نرى الشمس
 والقمر تخلفتا عن عملهما ورفضاً للإشراق والإسارده مصادف لقوته
 تعالى :

(١) التفسير القرطبي ج ١ ص ١١

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا

عدد السنين والحساب . ما خلق ذلك إلا بالحق يفصل الآيات

لقوم يعلمون) (٢).

كما أن هذا القول يتهاافت أمام حقائق الآخرة وما فيها والتي تكور

فيها الشمس وتتكرر النجوم فيها وتسير الجبال إلى آخر ما ذكره

الله في قوله (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال

سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار

سجرت وإذا النفوس زوجت) (٣) وقوله : (يوم تبدل الأرض

غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) (٤) فأنين

خصائص الطبيعة تلك التي يزعمونها ويقررونها ^{والله اعلم} تصورها

(٢) سورة يونس الآية رقم (٥)

(٣) سورة التكويد الآيات (٢٧-١)

(٤) سورة إبراهيم الآية رقم (٤٨) .

الصفات بين المبتدئين والناقلين لها

إن القارئ للقرآن الكريم والسنة المطهرة يلاحظ ألفاظا ومصطلحات يوهم ظاهرها مشابته تعالى للحوادث كاليد والوجه والاستواء... الخ. فما موقف السلف من هذه النصوص؟ وما موقف الخلف منها؟ وما هو المذهب المختار؟ وما هو الواجب على المسلم أن يعتقد من هذه الآراء؟ تلك قضية خطيرة آمن بها من آمن وخرج بها من خرج عن دائرة التوحيد، ومن هنا عقدت هذه الكلمة عن النصوص السمعية التي يوهم ظاهرها التشبيه فنقول:-

لقد بالغ بعض السلف^(١) في إثبات صفات أزلية لله تعالى من مثل من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإتعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا

(١) فمراد تاريخيا بالسلف الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى ثم جعل علما على كل من سار على نهجهم من أئمة الفقه وعلماء الحديث الذين تبعوا نهج الأولين.

وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون هذه الصفات قد وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية.

**** ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمي السلف صفاتية^(*) والمعتزلة معطلة .**

* وقبل أن نعرض لوجهتي النظر حول الصفات الخبرية نود الإشارة إلى ما ذكره ابن حزم في كتابه الفصل من نحو نفى إطلاق الصفات على الله تعالى وذلك لأن الله تعالى كما يرى (لم ينص قط في كلامه المنزل على لفظ الصفات ولا على لفظ الصفة، ولا حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى صفة أو صفات نعم، ولا جاء قط ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم، ولا عن أحد من خيار التابعين ومن كان هكذا فلا يحل لأحد أن ينطق به^(١)) ويعلل ابن حزم هذا الأمر بأنه من

(*) هم المثبتون لله تعالى صفات كآلية من العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام فمع ولا يفرقون بين صفات الذات والفعل وتقيضهم المعتزلة وهم المعطلة وأبرز الصفتية عبد الله بن سعيد بن كلاب ت ٢٤٣ هـ . رجع المعجم الفلسفي عبد المنعم الحنفي ص ١٦٦ ط الدار الشرقية - الأولى ١٩٩٠ م

اختراع المعتزلة ومن سلك سبيلهم^(١) ونحن تجاه هذا الأمر
نناقشه مناقشة موضوعية .

• وأول ما يواجهنا هنا هو إجماع فقهاء المدينة السبع ومن خيرة
التابعين على إثبات هذه الصفات لله وأنهم كما ذكر ابن قدامة^(٢)
عن اسما عيل بن عبد الرحمن الصابوني أنهم عرفوا ربهم
بصفاته كما نطق بها الكتاب وشهد بها رسول الإسلام صلى الله
عليه وسلم .

• وكذلك ذكر صاحب المال والنحل وأئمة الحديث والفقهاء أن
مسلكهم يبرز في إثبات الصفات كما وردت في النصوص
بلا تأويل ولا تعمق^(٣)

• وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين انه تعالى
له أسماء وردت في كتابه الكريم ولمولم تدل على معان
وأوصاف لم يجر أن يخبر عنها بمصادرها، ويوصف بها لكن

(١) راجع الفصل لابن حزم رحمه الله ج(٢) ص ١١٢ .

(٢) راجع رسائل ذم التأويل ص ٧١، وما بعدها .

(٣) راجع المال والنحل للشهرستاني ج(١) ص ٨٤ .

• راجع الأوهية في الفكر الإسلامي أ.د/ عبد الله الشافعي ص ١٧٢ .

الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه كما أثبتتها
الرسول صلى الله عليه وسلم ويستشهد لكلامه بقوله تعالى
(إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ^(١) فالقوة اسم ومعنى أخذ
من اسم القوى . . . أَلخ وفي الحديث عن جابر بن عبد الله
. قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا لِاسْتِخَارَةِ فِي
الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ إِذَا هُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ
ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ
مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ
عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي
دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ
فَاغْنِنِي عَنْهُ وَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ
رَضِّنِي بِهِ وَيُسَمَّى حَاجَتُهُ * ^(٢) فقد أثبت السمع والقدرة

^(١) سورة الذاريات الآية ٥٨١

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ك (الدعوات) رقم ٥٩٠٣ .

والعلم وهى من صفات الله عز وجل . ويترتب على هذا الأمر محاذير منها :

* - أنه لا يصح الإخبار عن الأسماء بأفعالها لو لم تكن مشتملة على معان من مثل قوله تعالى (إنني معكما أسمع وأرى)^(*) وذلك لأن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها ...^(**)

* كذلك يترتب عليه استواء هذه الأسماء ومدلولاتها الفعلية أو الصفاتية فلا يوجد فرق بينها . وتصبح قوالب جامدة لامعنى لها .

* أيضا: - يترتب عليه خلو الأسماء من المعاني الفعلية ويؤدى إلى خروجها عن دائرة الأسماء الحسنى .

* ناهيك عن ما يترتب عليه من وقوع أسماء الانتقام مقام أسماء الرحمة وبالعكس ... ألخ^(*) وكل هذه الأمور كلها بعيدة عن الجانب الإلهي والحق أن الله تعالى صفات خبرية أخبر بها الشرع

(*) سورة طه الآية ٤٦ .

(**) راجع مدرج السالكين ج (١) ص ٢٨ وما بعدها

(*) راجع الألوهية في الفكر الإسلامي أ. د عبد الله الشافعي ص ١٧٣

الحنيف . وبعد أن استعرضنا ثبوت الصفات لله تعالى نعود
أدراجنا إلى ما سطره علماء الكلام حولها: -.

الآيات السمعية الموهمة للتشبيه :-

إن القارئ للقرآن الكريم والسنة المطهرة يلاحظ ألفاظا
ومصطلحات يوهم ظاهرها مشابهته تعالى للحوادث كاليد والوجه
والاستواء . . . إلخ فما موقف السلف من هذه النصوص؟ وما
موقف الخلف منها؟ وما هو المذهب المختار؟ وما هو الواجب
على المسلم أن يعتقد من هذه الآراء؟ تلك قضية خطيرة آمن
بها من آمن وخرج بها من خرج عن دائرة التوحيد . ومن هنا
عقدت هذه الكلمة عن النصوص السمعية التي يوهم ظاهرها
التشبيه فنقول وبالله العون :-

لقد بالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات
المحدثات واقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها وما
ورد به الخبر فافترقوا فرقتين:-

* فمنهم من أوله على وجه يحتمل اللفظ ذلك .

• ومنهم من توقف في التأويل وقال وعرفنا بمقتضى العقل :
 (إن الله تعالى ليس كمثله شيء فلا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا
 يشبه شيء منها وقطعنا بذلك. إلا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد
 فيه مثل قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ومثل قوله
 (خلقت بيدي) * ومثل قوله (وجاء ربك) (٣) إلى غير ذلك
 ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها بل التكليف قد
 ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له وليس كمثله شيء وذلك قد أثبتناه
 يقيناً (يقول صاحب الإرشاد ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليمين
 والعينية والوجه صفات ثابتة للرب تعالى والسبيل إلى إثباتها
 السمع دون قضية العقل) (١)

* فخلاصة قولهم عدم التأويل فانه اعلم بمراده ويقفون عند قوله
 تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) (٢) وفي هذا يقول الإمام مالك
 رحمه الله الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به

• سورة طه الآية (٥)

• سورة ص الآية (٦٥)

(٣) سورة الفجر الآية (٢٢)

(١) راجع الإرشاد ص ١٥٥ .

(*) سورة آل عمران الآية (٧)

واجب والسؤال عنه بدعة) وهذا قول جماعة كبيرة من السلف
رضى الله عنهم كالنثوري والأوزاعي وأبى حنيفة . الخ .
كما زاد جماعة من المتأخرين على ما قاله السلف فقالوا لا بد من
إجرائها على ظاهرها فوقعوا في التشبيه الصرف وذلك على
خلاف ما اعتقده السلف .

اليهود (*) والتشبيه :-

لقد كان التشبيه سمة وعقيدة واضحة عند اليهود فقد امتلأت
التوراة المحرفة بالفاظ كثيرة تدل على ذلك :- من ذلك نقولهم
على الله تعالى ووصفه بأنه . (اشتكت عيناه فعادته الملائكة
ويكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وإن العرش ليئبط من

(*) نسبة إلى يهوذا من الأسباط الاثني عشر واطلق اسمه على إحدى المملكتين اللتين انقسم
إليهما ملك سليمان عليه السلام ومن ثم فاليهودية جنسية سكان مملكة يهوذا ثم صارت علما
على كل لليهود واليهودية كدنية في غير القرآن الكريم نظام سلوكي أكثر منها عقيدة فهي ثقافة
اليهود أي فلسفتهم وعاداتهم وأعرافهم وتتسم بإيماتها بالمطلق الذاتي أي بإله
المقصود من اليهود فقد اختارهم (زعما) لعبادته فاختصوه بالوحدانية ونتيجة لأنهم شعب الله
ولاختصاصهم بأرض فإن مفاهيم الله والشعب والأرض تختلط عندهم وتكون أساسا الوعي
الصهيوني . راجع المعجم الفلسفي ص ٣٨٨

تحته كأطيط الرجل الحديد وأنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع^(١) والإله يتنسم رائحة الضحايا والقرايين وينتعش منها كما أنه ينام ويستريح ويصارع يعقوب، فلا يقوى عليه، كما أنه يأكل ويشرب وله أولاد من الذكور ٠٠٠ ألخ هذه الأكاذيب التي ملا بها اليهود كتابهم وحرفوا من خلالها الكلم عن مواضعه قاتلهم الله أنى يؤفكون^(٢).

رأى الشيعة (الغلاة منهم) :-

* بالتطلع إلى آراء غلاة الشيعة نجد أنهم قد وقعوا في غلو وتقصير، أما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالإله تعالى وتقدس. وأما التقصير فتشبيه الإله بواحد من الخلق، ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير ووقعت في الاعتزال وتخطت جماعة من السلف إلى التفسير الظاهر ف وقعت في التشبيه .

(١) راجع منهاج السنة (ج ٢) ص ٥٠١ .

(٢) راجع الأسفار المقتنسة في الأيمان السابقة للإسلام د/إفي ٢٨ ط نهضة مصر .

* تابع رأى السلف :-

وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا تهدفوا للتنشيط فممنهم مالك بن أنس رضي الله عنهما إذ قال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. كما علمنا ومثل أحمد بن حنبل رحمه الله وسفيان الثوري وداود بن علي الأصفهاني ومن تابعهم ، حتى انتهى الزمان إلى عبدالله بن سعيد الكلابي وأبي العباس القلانسي والحارث بن أسعد المحاسبي وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باثروا علم الكلام وأبدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية وصنف بعضهم ، ودرس بعض حتى جرى بين أبي الحسن الأشعري وبين أستاذه مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصما وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة فأيد مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهباً لأهل السنة والجماعة وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية . يقول الإمام الشهرستاني (وقد سلك السلف طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا

نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات وأن كل ما تمثّل في الوهم فإنه خالقه ومقدره (٠٠)
(١)

****فعقيدة السلف في الصفات هو إبقاء النصوص على ما دلت عليه من المعاني الظاهرة للألفاظ مع نفى التشبيه، وتفويض الكيفية إلى الله تعالى .**

يقول الإمام الشوكاني عن منهج السلف في مسألة الصفات .
«هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولتأويل متعسف لشيء منها ولا تشبيه ولا تعطيل يقضى إلى كثير من التأويل وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلووا عليه الدليل تلو الدليل وأمسكوا عن القول والقيّل وقالوا الله تعالى كذا ولا ندرى بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أنزله بمجاوزته الخ (١)

(١) راجع الملل والنحل ج ١ ص ١٠٠ .

(١) راجع التحف في مذهب السلف ص ٧ .

****رأى الخلف:-** عدم إجراء هذه الصفات على ظاهرها بل يجب تأويلها تأويلاً يليق بذاته تعالى، فالاستواء ملك وقهر واليد قدرة والوجه تعنى الذات، والقدرة والمجىء هو العذاب . ويقفون عند قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم . (١٠٠) (١) ، () والمعنى أن الراسخين فى العلم يمكنهم تأويل المتشابهات ويكون ما بعد ذلك استئناف (٠٠) ويطالعنا قول الأشعري فى الإبانة مقررًا مذهب هؤلاء القوم وفى هذا يقول الأشعري (فى معنى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (١) انه استولى وملك وقهر وأن الله تعالى فى كل مكان ، وذهبوا فى الاستواء إلى القدرة ()

الصفاتية الأشعرية :- أصحاب أبى الحسن بن اسما عيل الأشعري المنتسب إلى أبى موسى الأشعري رضى الله عنهما وسمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري رضى الله عنه كان يقرر عين ما يقرر الأشعري أبو الحسن فى مذهبه وقد

✽ - سررة الغرر : الآية (٧١) .

(١) راجع الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ت ٥٠ / فوقه حسين ص ١٠٨ :-

جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو أين أجد أحدا أحاكم إليه ربي فقال أبو موسى أنا ذلك المتحاكم إليه فقال عمرو أو يقدر علي شيء ثم يعذبني عليه قال نعم قال عمرو ولم قال لأنه لا يظلمك فسكت عمرو ولم يجر جوابا ، قال الأشعري الإنسان إذا فكر في خلقته من أي شيء ابتداء وكيف دار في أطوار الخلقة طورا بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة وعرف يقينا أنه بذاته لم يكن ليدير خلقته وينقله من درجة إلى درجة ويرقيه من نقص إلى كمال علم بالضرورة أن له صانعا قادرا عالما مريدا إذ لا يتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار في الفطرة وتبين آثار الأحكام والإتقان في الخلقة فله صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جردها وكما دلت الأفعال على كونه عالما قادرا مريدا دلت على العلم والقدرة والإرادة لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا وأيضا لا معنى للعالم حقيقة إلا أنه ذو علم ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان ويحصل بالقدرة والوقوع والحدوث ويحصل بالإرادة التخصيص بوقت دون وقت

وقدر دون قدر وشكل دون شكل وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات إلا وأن يكون الذات حيا بحياة للدليل الذي ذكرناه ، وألزم منكري الصفات إلزاما لامحيص لهم عنه وهو أنكم وافقتمونا بقيام الدليل على كونه عالما قادرا فلا يخلو إما أن يكون المفهوم من الصفتين واحدا أوزائدا فإن كان واحدا فيجب أن يعلم بقادريته ويقدر بعالميته ويكون من علم الذات مطلقا علم كونه عالما قادرا وليس الأمر كذلك فعلم أن الاعتبارين مختلفان فلا يخلو إما أن يرجع الاختلاف إلى مجرد اللفظ أو إلى الحال أو إلى الصفة وبطل رجوعه إلى اللفظ المجرد فإن العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين بولو قدر عدم الألفاظ رأسا ما ارتاب العقل فيما تصوره وبطل رجوعه إلى الحال فإن إثبات صفة لا توصف بالوجود ولا بالعدم إثبات واسطة بين الوجود والعدم والإثبات والنفي وذلك محال فتعين الرجوع إلى صفة قائمة بالذات وذلك مذهبه ، على أن القاضي الباقلاني من أصحاب الأشعري قد ردد قوله في إثبات الحال ونفيها وتقرر رأيه على الإثبات ومع ذلك أثبت الصفات معاني قائمة به لا أحوالا وقال

الحال الذي أثبتته أبو هاشم هو الذي نسميه صفة خصوصاً إذا
أثبت حالة أوجبت تلك الصفات .

ومن خلال ماسبق يتبين أن للأشعرى رأيين :-

أحدهما:- هو الإثبات والثاني هو التأويل ويؤيد هذا الكلام
ماذكره صاحب المواقف عن الأشعرى ورأيه في الصفات
الخبرية^(١) وأنه قرر رأيه في الرد على المخالفين بقوله (في
إيانة قول أهل الحق والسنة .

فإن قال لنا قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية^(٢)
والحرورية والمرجئة . . . فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم
التي بها تدينون قيل له قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين
بها ، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل وبسنة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث
ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن

(١) راجع المواقف الإيجي ص ٢٩٧

(٢) هم أصحاب جهم صفوان قفلا لفترة للعبد أصلاً لا موزنة ولا كسبة بل هو بمنزلة الجماعات والجنة وقنار تقنيان بعد القول

أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى راجع للمعجم الفلسفي ص ٨٤

محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته
قائلون ولما خالف قوله مخالفون لأنه الإمام الفاضل والرئيس
الكمال الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح به
المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائغين وشك الشاكين
فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم
وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به
من عند الله وما رواه النقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا نرد من ذلك شيئا وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو
فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدا عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق وأن الجنة والنار حق وأن الساعة
آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأن الله تعالى
استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده
استواء منزها عن الممارسة والإستقرار والتمكن والحلول
والإنتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف
قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء
إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيد قربا إلى العرش والسماء بل هو

رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى
وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل
الوريد وهو على كل شيء شهيد (١)

* كما ذهب إلى التأويل إمام الحرمين فقرر في كتابه الإرشاد
حمل اليبين على القدرة والعينين على البصر ٠٠٠ ألخ ولكنه ما
لبث أن رجع مقررا مذهب السلف قاتلا (٠٠٠) والذي
نرتضيه رأيا وندين لله به عقلا اتباع سلف الأمة فالأولى اتباع
وترك الابتداع والنليل السمعي قاطع في ذلك أن إجماع الأمة
حجة متبعة وهو مستند معظم للشرعة (٢)

* وكذا يقرر الإمام الغزالي رحمه الله أن الناس إزاء تلك
النصوص على فريقين:-

أولهما:- مقام العوام ويجب البعد معهم عن التأويل والتشبيه
ويكون مدار أمرهم قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير) فينزع عن عقائدهم كل ما يوجب التشبيه ويدل على

(١) راجع الابته ص ٢٠

(٢) راجع العقيدة النظامية ص ٢٢ - سورة الفرقان الآية (١١) -

الحدوث... الخ وإذا تطرقت عقولهم لأى شئ من هذا يجب
زجرهم وأمرهم بالتقوى والانشغال بغير هذا الأمر طالما لم يكن
فيه أمر إلهى أو نهى ربانى فهم سمعوا وعليهم أن يسكتوا ويقولوا
آمنّا وصدقنا وما أوتينا من العلم الا قليلا وليس هذا من جملة ما
أوتينا^(١)

* وأما الفريق الثانى فهو فريق العلماء وعليهم كما يرى حجة
الإسلام تعريف ذلك الأمر وتفهيمه على نحو ما يليق به تعالى
بعيدا عن التشبيه والتجسيم والمماثلة قاصدين به تنزيه المولى
عز وجل .

* وأما الامام الرازى فقد ذهب إلى أن هذه المتشابهات يجب
القطع فيها بأن مراد الله تعالى فيها شئ غير ظواهرها ثم يجب
تفويض معناها إلى الله تعالى ولا يجوز الخوض فى تفسيرها^(٢)
وبذلك يكون الإمام رحمه الله قد جمع بين التنزيه والإثبات
والقول بأن الكل من عند الله تعالى دون اللجوء إلى المجادلات

(١) إجمال العلوم ص ٢٤٨ أيضا الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٠٢ .

(*) راجع أساس التقييس - الرازى / ت د / أحمد حجازي لسقا ص ٧٠

والنزاع وهو الرأي الذى تركه فى وصيته واستقر عليه آخر حياته (٢).

* وقفة وراى

بعد أن استعرضنا رأى السلف والخلف فى الآيات الموهمة للتشبيه نخرج إلى المذهب المختار وهو مذهب السلف (كما ينكر فضيلة المرحوم د/عبد الحليم محمود:- وذلك لأمر :-منها:-

١- إن معرفة صلاح الدين وما بعدها من أمور المعاد لا تكون إلا من خلال النبى فالعقول قاصرة عن إدراك ما ينفع وما يضر فالعقلاء معترفون بأن العقل لا يهتدى إلى ما بعد الموت إلا بنور النبوة .

٢- قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أوحى إليه ليصلح أحوال العباد فلم يترك شيئاً فيه صلاحهم

(٢) راجع فخر الدين الرازى وأرواه الكلامية ص ٢٥٦

الأوامر به وكذا نهى عن كل ما يبعد عن الله تعالى
وذلك من الرحمة الربانية منه تعالى .

٣- يترتب على هذا الأمر أن اعلم الناس بمعاني كلامه
تعالى وأحرامهم بالوقوف على كنهه إنما هم الذين
شاهدوا الوحي والتنزيل وعاصروه وصاحبوه وتلقوه
بالقبول والنقل إلى من بعدهم وللتقرب إلى الله تعالى
سبحانه بسماعه وفهمه وحفظه ونشره ولم يؤثر عنهم
أنهم دعوا إلى البحث والتنقيش والتفسير والتأويل في
المتشابه بل زجروا كل من خاض فيه وسأل عنه وتكلم
به ومع إنكار الأمة للبدع فإن كل من خاض في مثل
هذه الأمور قوبل بالرد والإهانة^(١) وقد أنمى عمر بن
الخطاب رجلاً جاء يسأله عن المتشابه في القرآن لأنه
قد علم وجهة الرجل ومكره ولم يلجأ عمر رضي الله
عنه إلى ذلك إلا بعد الجدل ومحاولة الإقناع للرجل

(١) راجع التفكير الفلسفي في الإسلام د/ عبدالحليم محمود ص ١٠٥ ط دار المعارف .

ولذا لم يتركه إلا بعد أن قال ذهب ما فى رأسي من
وساوس الشياطين (١) .

٤- وقد ذكر شارح الجوهرة أن طريقة السلف أسلم لما فيها
من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له الله
تعالى وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد
الإيضاح والرد على الخصوم .

٥- يرجح الإمام الأوسى منهج السلف قائلا (هذا أليق
بالأدب ، وأوفق بكمال العبودية ، وعليه درج صدر
الامة ، واختاره أئمة الفقهاء ، والحديث في القديم
والحديث . من المشرق إلى المغرب (٢) .

•
•

• الصفات والذات الإلهية •

(٢) راجع صون المنطق للسيوطي ص ٥٠

(٣) راجع شرح الجوهرة للقاتري ص ٩١ (٤٢)

•• يرى الأشاعرة أن لله تعالى صفات كما علمنا وهذه الصفات ليست هي الذات بل هي زائدة على ذاته تعالى ولهم أدلتهم منها:-

• منها قياس الغائب على الشاهد فقالوا إن العلة واحدة والشرط لا يختلف غائبا وشاهدا فيقولون إن علة كون الشيء عالما في الشاهد هو العلم فكذا حده هناك وشرط صدق المشتق على واحد منا ثبوت أصله فكذا شرطه فيمن غاب عنا (١) وقد صرح القرآن الكريم بأنه تعالى هو القاهر فوق عباده وهو الفعال لما يريد وأنه كلم موسى تكليما... الخ وإذا أطلقت النصوص عليه تعالى هذه الأسماء لزم أن يتصف اتصافه بمشتقاتها وهي القدرة والإرادة... الخ (٢)

فلا معنى للعالم إلا أنه ذو علم ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات إلا وأن يكون الذات حيا بحياة وقد اعترض المعتزلة هذا القول معللين أن صفاته

(١) راجع المواقف - الإيجي ج ٨ ص ٥٤.

(٢) راجع الملل والنحل ج ١ ص ٨٦.

هى عين ذاته تعالى لأن القول بخلاف هذا الأمر يودى إلى تعدد القدماء فمن أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت الإهين . .
 (١) وهنا يرد صاحب العقائد النسفية مبينا أنه لا يلزم منه تعدد القدماء وقدم الغير، والأولى أن يقال المستحيل تعدد ذوات قديمه لا ذات وصفات وأن صفات الواجب واجبة لذات الواجب تعالى وهى نفسها ممكنة ولا استحالة فى قدم الممكن إذا كان قائما بذات القديم واجبا له غير منفصل عنه فليس كل قديم إلها حتى يلزم من وجود القدماء وجود الإلهة، وينبغى أن يقال الله قديم بصفاته وهذا الأمر بالغ الصعوبة ومن ضلال العقل التدخل فيه والأولى البعد عنه وعدم الخوض فيه إذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل إليه والاستدلال على شئ منه بالألفاظ الواردة ضعف فى العقل وتغريز بالشرع فما علينا إلا الوقوف عندما تبلغه عقولنا . (٢) ولذا يقول الفاروقى أيضا (الصفات لاهو ولا غيره إذ العقل قاصر عن إدراك هذه

(١) نهاية الأقدام - الشهرستاني ج (١) ص ١٨٠

(٢) راجع الرسالة ت د/محمود أبو رية ص ٦٠

المعرفة وأرباب العقول يفهمون من هذه العبارة ارتفاع
النقيضين ولم يعلموا أن اتحاد المكان والزمان من شروط
التناقض فإذا لم يكن للزمان والمكان مجال في حقه تعالى
كيف يتصور فيها التناقض (١).

** كذلك يرى صاحب كتاب التوحيد أن هذا الأمر ليس فيه
شئ مخالف للدين وإلا كان رده أمراً حتمياً من سائر
المرسلين وفي هذا يقول (٠) عن الصفات ٠٠٠ فلو كان في
إثباتهما ما يخالف التوحيد وينقضه لكف الرسل وامتنعت عن
إثباته الكتب السماوية ولما احتمل أن يتوهم عض الناس منها
التشبيه (٠) فالصفات مع الذات لا تستقل بذاتها ولا تقوم بنفسها
وأما كفر النصارى فيرجع لقولهم بوجود ذوات قديمة كل
واحد منها إلها ومن هنا حكم عليهم بالكفر من حيث الوصف

(١) راجع المكتوبات - المرهني - دار الكتب العلمية - الثانية - ج ٣ ص

(*) راجع كتاب التوحيد الماتريدي ص ١٢

بقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)^(١) كما أن
النصاري كما يرى صاحب العقائد النسفية قد جوزا الانفكاك
والانتقال فكانت الأقسام نوات متغيرة^(٢). * فالصفات عند
الأشاعرة ليست هي الذات وفي نفس الوقت ليست منفصلة
عن الذات فهو تعالى كما يرى الغزالي رحمه الله (عالم
بذاته ليس زائدا على ذاته هو نفسه المعلوم هو نفسه)^(٣)
وأنتهى من هذا الأمر أن الله تعالى موصوف بكل ما وصف
به نفسه من صفاته مسمى بكل ما سمي به نفسه ولم يزل
قديما بأسمائه وصفاته^(٤).

سورة المائدة الآية ٧٣ -

(١) راجع شرح العقائد النسفية ص ٧١

(٢) راجع معارج القوس ص ١٩٠ - ١٩١

(٣) راجع التعرف لمذهب التصوف الكلابادي - ص ٢٣

لَقِيلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ أَنْصَابِ الصِّفَاتِ الَّتِي دَرَجَ عَلَيْهَا لِنَتَعَلَّمَ مِنْ نَوْدِ الْإِشَارَةِ إِلَى أَسْمَاءِ اللَّهِ

تَعَالَى مَبِينٌ مَا يَلِي .

مَغْشُودُ الْأَسْمَاءِ - بَيَانُ رَأْيِ أَهْلِ السُّنَّةِ - بَيَانُ رَأْيِ أَهْلِ الْإِمْتِزَالِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ثُمَّ بَيَانُ الرَّأْيِ الْمَخْتَارِ مِنْ هَذِهِ الْأَرْأَاءِ فَنَقُولُ وَبِاللَّهِ تَعَالَى الْوَفِيقُ .

يَتَحَدَّثُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ اللَّهِ فَيَقُولُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ (وَهُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا لِلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)^١ . وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمَنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)^٢ تِلْكَ أَسْمَاءُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)^٣ وَمَا أَخْبَرْنَا بِهِ مِنْ أَسْمَاءٍ عَنْ طَرِيقِ رَسُولِهِ فَنَحْنُ نَدْعُوهُ بِهَا تَعَالَى . وَبَعْدَ هَذِهِ الْإِطْلَالَةِ نَقْفُغُ عَلَى

١- سورة الْأَنْعَامِ آيَةُ (١٨٠) .

٢- سورة الْأَنْعَامِ آيَاتُ (٢٢ - ٢٤) .

٣- سورة مَرْيَمَ آيَةُ (٦٥) .

مفهوم الاسم . الاسم هو ما دل على الكلمات المقدسة دون ملاحظة شئ آخر زوذلك كالأعلام الموضوعية في اللغات للذات العليا مثل الله تعالى . . . والاسم هنا في مقابلة الصفة فهو يدل على الذات .

وإذا كانت بعض الأسماء توهم نقصا فما هو المخرج من هذا الأمر وقبل الجواب نود الإطلالة على قواعد عامة ينبغي مراعاتها وهي :-

أن ما أخبر به الشارع من أسماء له تعالى فهي مقبولة ومأخوذة بها وينبغي التسليم بها . وما نهى الشارع عنه وطلب البعد عنه فلا يجوز إطلاقه على الله تعالى . وأما الأسماء المأخوذة من الصفات أو الأفعال فهي عند أهل السنة مرفوضة طالما أن للشارع لم يأن بها وإذا كان بنو البشر يغضبون ويثرون عند تكتيتهم بأسماء غير أسمائهم فأولى بهذا الأمر (والله المثل الأعلى) تجيب وتنزيه جانب الحق تعالى عنها فكل ماورد به إذن فهو توقيفي كما أن الأنبياء لا يسمون الله تعالى بغير ما هداهم إليه وأعلمهم فحواه . وأما أهل الاعتزال فقد ذهبوا إلى جواز إثبات

ماكان متصفا بمعناه ولم يوهم نقصا به تعالى إذا فقصدهم التنزيه
ولكنهم يدعون الأمر إلى تحكيم العقل واللغة في هذه الأسماء
فالعقل هو الذى يقرر، وأما إذا كان الاسم لا يوهم نقصا فلا يجوز
إطلاقه على الله تعالى. وقد جوز الإمام الغزالي إطلاق الصفة
ومنع إطلاق الاسم . وأما ماورد به ذكر فى الشرع الحنيف من
أسماء قد يظن بعض الناس أنها توهم نقصا مثل الصبور والحليم
... الخ فهذه الأسماء تؤول بما يليق به تعالى فالشكور مثلا
لا يفسر بما يوهم وصول إحسان إليه سبحانه لأن معناه كثير
الشكر لمن أحسن إليه وهذا لا يصح فى جانب الله تعالى وإنما
معناه أنه الذى يجازى على الطاعات قليلها وكثيرها فالقليل
يضاعفه ويباركه لصاحبه وما كان فى أمر الأسماء يلحق
به الصفات كما أشار إلى ذلك صاحب الجوهرة رحمه الله تعالى
فقال:- واختير أن أسماءه توفيقية كذا
الصفات فاحفظ السمعية .^(١) وإليك هذه الأسماء كما أوردها
صاحب المواقف رحمه الله يقول .

(١) راجع شرح الجوهرة ص ١٠٧

(تسميته تعالى بالأسماء توقيفية أي يتوقف إطلاقها على الإن
فيه وذلك للاحتياط احترازاً عما يوهم باطلا لعظم الخطر في ذلك
والذي ورد به التوقيف في المشهور تسعة وتسعون اسماً

الله

اسم خاص بذاته لا يوصف به غيره، قليل علم جامد، وقيل مشتق
وأصله الإله حذفت الهمزة لتقلها وأدغم اللام وهو من إله إذا تعبد
وقيل من الوله وهو الحيرة ومرجعها صفة إضافية ، وقيل
هو القادر على الخلق وقيل من لا يصح التكليف إلا منه
فمرجعه صفة سلبية

الرحمن الرحيم

أي مريد الإنعام على الخلق فمرجعها صفة إرادة .

المالك

أي يعز وينزل ولا يذل فمرجعه صفة فعلية وسلبية وقيل التام
القدرة فصفة القدرة .

القدوس المبرأ على المعاييب وقيل الذي لا يدركه الأوهام
والأبصار فصفة سلبية .

السلام ذو السلامة عن النقائص فصفة سلبية وقيل منه وبه
السلامة ففعلية وقيل يسلم على خلقه قال تعالى سلام قولا من
رب رحيم - فصفة كلامية -

المؤمن المصدق لنفسه ورسله إما بالقول فصفة كلامية أو بخلق
المعجز ففعلية وقيل المؤمن لعباده من الفرع الأكبر إما بفعله ،
الأمن أو بأخباره

المهيمن الشاهد وفسر بالعلم وبالتصديق بالقول وقيل الأمين أي
الصادق في قوله .

العزیز قيل لا أب له ولا أم وقيل لا يحط عن منزلته وقيل لا
مثل له . وقيل يعذب من أراد ، وقيل عليه ثواب العاملين ،
وقيل القادر والعزة للقدرة ومنه المثل من عزيز .

الجبار قيل من الجبر بمعنى الإصلاح ومنه جبر العظم
وقيل بمعنى الإكراه أي يجبر خلقه على ما يريد . وقيل منيع لا
ينال ومنه نخلة جبارة وقيل لا يبالي بما كان وبما لم يكن

وقيل العظيم أي انتفت عنه صفات النقص وقيل وحصل له جميع
الكمال .

المتكبر قيل في معناه ما قيل في العظيم الخالق البارئ معناه
واحد المختص باختراع الأشياء .

المصور المختص بإحداث الصور والتراكيب الغفار المرید
لإزالة العقوبة عن مستحقها . القهار غالب لا يغلب

الوهاب كثير العطاء . ** الرزاق يرزق من يشاء

الفتاح ميسر المسير . ** وقيل خالق الفتح أي النصر
وقيل الحاكم وهو إما بالإخبار أو بالقضاء ومنه قوله تعالى
”ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق“ أي احكم وقيل الحاكم المانع
ومنه حكمة اللجام العليم العالم بجميع المعلومات

القابض المختص بالسلب ، الباسط المختص بالتوسعة
للخافض من الخفض ، وهو الحط والوضع .

الرافع المعطي للنازل * المعز معطي العزة * المذل
الموجب لحط المنزلة * السميع * البصير * ظاهر
الحكم الحاكم * وقيل هو الصحيح علمه وقوله وفعله * العدل

لا يقبح منه ما يفعل * اللطيف خالق اللطف ، وقيل العالم
 بالخفيات الخبير العليم وقيل المخبر * الحليم لا يعجل العقاب
 * العظيم قد مر * الغفور كالغفار الشكور المجازي على
 الشكر وقيل يثيب على القليل الكثي وقيل المتي على من
 أطاعه * العلي الكبير كالمتكبر * الحفيظ للعليم وقيل
 لا يشغله شيء عن شيء وقيل يبقي صور الأشياء
 المقيت خالق الأقوات وقيل المقدر وقيل الشهيد وهو
 العالم بالغائب والحاضر * الحسيب الكافي يخلق ما يكفي
 العباد وقيل المحاسب بإخباره المكلفين بما فعلوا الجليل
 كالمتكبر * الكريم ذو الجود ، وقيل المقتدر على الجود وقيل
 العلي الرتبة ومنه كرائم المواسي وقيل يغفر الذنوب * الرقيب
 كالحفيظ * المجيب يجيب الأدعية للواسع الحكيم *
 الوئود الموتود كالخلوب والركوب وقيل الواد أي يود
 ثنائه على المطيع وثوابه له * المجيد الجميل أفعاله وقيل
 الكثير أفضاله وقيل لا يشارك فيما له من أوصاف المدح *
 الباعث المعيد للخلائق * الشهيد العالم بالغائب والحاضر

* الحق العدل ، وقيل الواجب لذاته ، وقيل المحق أي
 الصانع ، وقيل مظهر الحق * الوكيل المتكفل بأمور
 الخلق ، وقيل الموكول إليه ذلك * القوي القادر على كل
 أمر * المتين هي النهاية في القدرة * الولي الحافظ للولاية
 * الحميد المحمود * المحصي العالم وقيل المنبئ عن
 عدد كل معدود وقيل القادر ، ومنه " علم أن لن
 تحصوه " أي لن تطيقوه * المبدئ المتفضل بابتداء النعم
 * المعيد يعيد الخلق * المحيي خالق الحياة المميت خالق
 الموت * الحي ظاهر القيوم الباقي الدائم ، وقيل
 المدبر * الواجد الغني وقيل العالم ، الماجد العالي
 وقيل من له من الولاية والتولية * الأحد قد مر تفسيره *
 الصمد السيد وقيل الحليم وقيل العالي الدرجة وقيل
 المدعو المسؤول وقيل الصمد ما لا جوف له * القادر
 المقتر ظاهراً المقدم * المؤخر يقدم من يشاء ويؤخر
 من يشاء الأول الآخر لم يزل ولا يزال * الظاهر
 المعلوم بالأدلة القاطعة وقيل الغالب * الباطن المحتجب

عن الحواس وقيل العالم بالخفيات * الوالي المالك *
 المتعالي كالعلي البر فاعل البر ، التواب يرجع لفضله
 على عباده إذا تابوا إليه * المنتقم المعاقب لمن عصاه *
 العفو الماحي الرؤوف المرید للتخفيف * مالك الملك
 يتصرف فيه ذو الجلال والإكرام كالجليل * المقسط
 العادل * الجامع أي للخصوم يوم القضاء * الغني لا
 يفتقر إلى شيء ، المغني المحسن لأحوال الخلق * المانع
 لما يشاء من المنافع * الضار * النافع منه الضرر
 والنفع * النور * الهادي يخلق الهدى * البديع أي
 المبدع ، الباقي لا آخر له * الوارث الباقي بعد فناء
 الخلق ، الرشيد العدل * وقيل المرشد * الصبور
 الحليم وقد مر فهذه هي الأسماء الحسنی نسال الله
 ببركتها أن يفتح علينا أبواب الخير ويغفر لنا ويرحمنا إنه هو
 الغفور الرحيم (١).

(١) راجع المواقف - الإيجات د/ إبراهيم عميرة ج (٢) ص ٢١٢

الصفات وأقسامها^(١) :-

**** قسم المتكلمون الصفات باعتبار مفهومها إلى أربعة أقسام**
نفسية وسلبية ومعاني ومعنوية . كما أن الصفات عندهم تنقسم
إلى صفات ذات وصفات فعل :-

فالذاتية هي التي لا تنفك عن المولى عز وجل كالعلم والقدرة
والسمع والبصر والكلام والحياة . الخ .
وأما صفات الفعل وهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة منها
الاستواء والنزول والمجئ والعجب الخ

^(١)الصفة مصدر وصفت الشيء إذا ذكرته بمعان فيه لكن جعل في الاصطلاح عبارة عن كل أمر زائد على الذات يفهم ضمن فهم الذات ثبوتيا كان أو سلبيا والعلاقة بين الصفة والموصوف هي النسبة الثبوتية وتلك النسبة إذا اعتبرت من جانب الصفة يعبر عنها بالقيام والصفة الثبوتية هي أن يشق للموصوف منها اسم والصفة السلبية هي أن يمتنع الاشتقاق لغيره . راجع المعجم الفلسفي ص ١٦٧

الصفة النفسية :

صفة الوجود

تعبر صفة الوجود هي الصفة الوحيدة من جملة الصفات والتي تدور حول الحال الواجبة للذات مادامت الذات حال كون تلك الحال غير معللة بعلة ويقصد جماعة الكلام بهذا المعنى أنها صفة ملازمة للذات في أزليتها وأبديتها

• مفهومها :- عرفت بأنها صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس

الذات دون معنى زائد عليها .^(١)

وبعيدا عن اضطراب المتكلمين ورؤيتهم حول الوجود من حيث كونه عين الوجود أو غيره يجد المسلم نفسه أمام اعتراف كامل بوجود المولى عز وجل ومن هنا رأى بعض دراسي علم الكلام انه لا يجب على المكلف اعتقاد شئ من ذلك بل يكفي ان يعتقد ان الله موجود . (١٠٠٠)^(٢) وقد دعا القرآن الكريم الناس للنظر والاعتبار في الآفاق والأنفس وصولا إليه تعالى وهو أصل من الأصول

(١) راجع شرح الجوهرة اللقنى ص ٥٤

(٢) راجع الألوهية في الفكر الإسلامى ص ١٧٦

التي قام عليه أدلة المتكلمين في استدلالهم على وجود الله تعالى، وقد مضى بنا القول وسلف عن بعض المظاهر والدلالات الواضحة على وجوده تعالى، فليرجع إليه ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض آيات من الذكر الحكيم يقول الله تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت ٠٠٠)^(١) وقال أيضا (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)^(٢) ٠٠٠ إلى آخر هذه الآيات والتي نخر بها القرآن، الكريم لتكون حجة على الجاحدين وإلزاما للمنكرين ٠٠٠ وقد مضى بنا أيضا الكلام على الفطرة ودلالاتها على الخالق عز وجل إلى جانب الأدلة الوجدانية التي تنكر الفطر بأصل الخلقة وأدلة العلم الكثيرة والتي مازالت تترى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهذا قول ربنا عز وجل سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ٠٠)^(١)

(١) سورة الغاشية الآية ١٧

(٢) سورة الروم الآية ٩

(١) سورة فصلت الآية (٥٣)

الدليل العقلي على وجوده تعالى

قَبْلَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَلَى الْأَدْلَةِ يَنْبَغِي أَنْ نَفْقَهَ جَيِّدًا أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَعِنْدَ أَصْحَابِ الْفِطْرِ السَّالِمَةِ اللَّهُ تَعَالَى مُوجُودٌ، وَوُجُودُهُ تَعَالَى لَا يَتِمَّارَى فِيهِ اثْنَانِ ^(٢) وَقَدْ مَضَى بِنَا الْكَلَامِ حَوْلَ هَذِهِ النِّقْطَةِ وَلَكِنْ هَذِهِ الْأَدْلَةُ إِنَّمَا هِيَ لِمُوَاجَهَةِ الْمُعَانِدِينَ فَالْفِطْرُ السَّالِمَةُ تَشْهَدُ بِوُجُودِهِ تَعَالَى . وَلِأَجْلِ هَذَا لَمْ يَرُدَّ التَّكْلِيفُ بِمَعْرِفَةِ الصَّانِعِ وَإِنَّمَا وَرَدَ بِمَعْرِفَةِ وَنَفْيِ الشَّرِيكِ ^(٣) . وَبَعْدَ هَذَا الْإِسْتِعْرَاضِ نَعُودُ لِلْجَاهِدِينَ لِنَرَى رُؤْيَا الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ بِأَسْلُوبِهِمْ وَبِمَنْطِقِهِمُ الْفَلَسْفِي . وَالدَّلِيلُ صِيَاغَتُهُ عَلَى النِّحْوِ التَّالِي :-

* يُقَالُ فِيهِ الْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ وَكُلُّ مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ إِنْزِنَ الْعَالَمُ حَادِثٌ . هَذَا عَنْ حَدُوثِ الْعَالَمِ قَمَا عِلَاقَتُهُ بِالْوُجُودِ نَعُودُ أَدْرَاجَنَا إِلَى رُؤْيَا الْمُتَكَلِّمِينَ حَوْلَ إِثْبَاتِ وَجُودِ الْبَارِئِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُمْ قَدْ رَوَّاهُ أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَهَذَا قَوْلُ السَّلَفِ) وَيَشْمَلُ

(٢) رَاجِعُ الْإِسْلَامِ وَالْعَقْلُ د/عَبْدُ الْحَلِيمِ مُحَمَّدٌ ص ١١٦ . ط/دَارُ الْكِتَابِ
(٣) رَاجِعُ شَرْحِ الْمَنُوسِيَةِ الْكُبْرَى ت لَا بَرَكَةَ ص ٦٥ نَقْلًا عَنْ نَهَايَةِ الْأَقْدَامِ
لِلشَّهْرِسْتَانِي

الجواهر والأعراض (عند الخلف) وسمى العالم بهذا الاسم لأنه مشتق من العلم والعلامة فهو دلالة واضحة على وجوب الرب تعالى (١) وقيل العالم هو في الأصل ما يعلم به الشيء كالحاتم لما يختم به وغلب على ما يعلم به الله تعالى وهو ماسوى ذاته وصفاته تعالى (٢) وفي التعريفات العالم لغة (عبارة عما يعلم به الشيء لأنه يعلم به الله من حيث أسماؤه وصفاته) (٣) ومن خلال إثبات حدوثهما أثبت المتكلمون وجود الله عز وجل . وهذا يقتضينا أن نقف على حد الجوهر والعرض وأدلة حدوثهما فنقول :-

(١) راجع أصول الدين للبغدادي ص ٣٢، ٤٣

(*) راجع العقائد العضدية - الدواني ص ٧

(٢) راجع التعريفات - الجرجاني ج (١) ص ١٨٨ مدينة النشر :: بيروت
سنة النشر :: ١٤٠٥ رقم الطبعة :: الأولى - عدد الأجزاء :: الحسم المحقق :: إبراهيم الأبياري
راجع أيضا العقائد النسفية - التفاتاني ص ١٧٤ ط م / صبيح الثانية

** معنى الوجود

* إن الوجود معناه التحقق والوجود الخارجي فلا يمكن لشخص أن ينكر وجود العالم لأنه موجود بالمشاهدة وهذا الوجود يشمل التحيزات وغيرها :-

فأما المتحيز فمعناه أنه ما يشغل حيزاً من الفراغ ويشمل الجوهر الفرد والذي لا تركيب فيه ، ويشمل أيضاً الجسم وهو ما تألف من جوهريين فصاعداً ..

وقيل إن الجوهر أنه ما يقبل العرض وقيل إنه هو المتحيز وقيل هو كل ذي لون هذا عن الجوهر ،^(١)

* أورد صاحب التعريفات كلاماً حول الجوهر نوردنا استنتاجاً بها ^(١) الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو مختصر في خمسة هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل لأنه إما أن يكون مجرداً أو غير مجرد فالأول أي المجرد إما أن يتعلق بالبدن تطبق التدبير والتصرف أو لا يتعلق والأول أي ما يتعلق العقل والثاني أي ما لا يتعلق النفس والثاني وهو أن يكون غير مجرد إما أن يكون مركباً أو لا الأول أي المركب الجسم والثاني أي غير المركب إما حال أو محل فالأول أي الحال الصورة والثاني أي الحل الهيولي وتسمى هذه الحقيقة الجوهرية في اصطلاح أهل الله بالنفس الرحمانية والهيولى الكلية وما يتعين منها وصار موجوداً من الموجودات بالكلمات الإلهية قال الله تعالى قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدد الكهف ١١٠ وأعلم أن الجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة وإلى بسيط جسماني كالغناصر وإلى مركب في العقل لون للخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من

واما الأعراض فتدخل في نطاق الغير متحيز فهي كل ما لا يشغل حيزا من الفراغ وتشمل العرض المحتاج إلى الجسم والذي لا يتصور بدونه ومن أمثلتها البياض والسواد والحركة والسكون والطعم والرائحة..... الخ، ومن غير المتحيز يتبقى معنا القسمة الأخيرة وهي تشمل الذات العليا وهي التي لا تشغل حيزا من الفراغ لعلوها عن الجهة والمكان والمقدار ناهيك عن عدم احتياجها الى جسم تقوم به

• من هذه القسم المنطقية للعالم أثبت المتكلمون حدوث العالم فقالوا العالم حادث، وكل حادث لابد له من محدث، والمحدث هو الله تعالى .

ونعود إلى الجوهر والذي رأى حجة الإسلام حدوثه:-
عن طريق إثبات عدم خلو الأجسام عن الحركة والسكون وكل ما لا يخلو عنهما فهو حادث إذ لو كان واحد من الحركة أو السكون قديما للزم حالة واحدة ولما قبل أن ينعدم فيكون الجسم إما ساكنا أبدا أو متحركا أبدا وكلا الأمرين قابل للعدم وذلك أمر

الجنس والفصل و إلى مركب منهما كالمولدات الثلاث راجع التعريفات - الجرجاني .

تقره المشاهدة فحدوث السكون ثابت بالحس وكذا خلافه^(١).
 * وكذلك أثبت حدوث الأعراض بالتبعية فهي تابعة للجسم وإذا
 كانت الجواهر حادثة فالأعراض حادثة وذلك أمر يراه أى إنسان
 فنرى الضاحك والباكي ونرى أثر السعادة وأثر البكاء ونرى
 الحرارة والبرودة... إلخ

* وأما من اعترض على عدم وجود الأعراض فإن كلامه مربود
 عليه كما رأى حجة الإسلام فإن صاحب الادعاء كان صامتا ثم
 مالبت أت تحول متكلم وهذا الصوت دليل دامغ على وجود
 العرض .

وأما الأمر بالنسبة لله تعالى فواضح وجلى فإتينا فوقنا بوجود
 أشياء لانراها ولكن ندرك آثارها الدالة عليه مثل التيار الكهربى
 وغيره ومن ذلك لانراه وإنما نحسه وندركه من خلال آثاره فيقال
 فلان صعقه التيار وفلان أضاء بيته بالتيار... إلخ وأما الأمر
 الأخير الذى يتعلق بالعرضية فهي من القسمة التى قسمها

(١) راجع الاقتصاد فى الاعتقاد القرآنى

(٢) راجع أيضاً أصول الدين الخدائى

(٣) راجع أيضاً الأهمية فى الفكر الإسلامى ص ١٣٩

المتكلمون ولا تطلق على المولى عز وجل إلا من خلال إذن شرعي أو إيراد لغة ٠٠٠ الخ وإن كان الأولى تنزيه المولى عز وجل عن هذه المصطلحات ودعوة المولى بأسمائه الحسنى .

الصفات السلبية

-معناها :- هي التي تسلب عن البارئ كل مالا يليق في حقه تعالى من وجود شريك له وتنزه الله عن كل شبيه أو ند له من المخلوقات فالله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وليست محصورة في عدد معين بل هي شاملة لكل ملا يليق بذاته تعالى وإن نكر المتكلمون خمس صفات وهي (القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية) فذلك لأنها أمهات وأصول وغيرها من نفى الولد والصاحبة والجسمية ٠٠٠ الخ داخل فيها وسبب تسميتها بالسلبية مع أنها ثابتة له تعالى لأمسوبة عنه لأنها مفسرة بالسلب إذ القدم سلب أولية الوجود والبقاء سلب اخرية الوجود ٠٠٠ الخ^(١)

(١) راجع البيجوري على السنوسية ص ١٧ وعلى الجوهرة ص ٤٥ أيضا راجع الألوذية في الفكر الإسلامي فضيلة الأستاذ الدكتور /عبدالله الشافعي ص ١٧٨

أولاً: - صفة القدم

معناه:- عدم أولية الوجود فهو تعالى لا أول له ولم يزل باقيا لا بحدوث على الأوقات والأزمان ^(١) فلم يسبقه عدم .

الدليل العقلي على صفة القدم :-

صانع العالم قديم لا أول له لأنه لو كان محدثا لاقتضى محدثا ثم كذلك محدثه لاقتضى محدثا آخر فيتسلسل إلى ما لا نهاية .^{*} له

(١) المقالات - الاثعري (ج ٢) ص ٢٠١

- التسلسل :- معناه استناد الممكن في وجوده إلى سبب مؤثره وتستند تلك السبب المؤثرة إلى أخرى مؤثرة ألغ إلى غير نهاية . (راجع مفكرات التوحيد ، الشيخ أبو دقيقة ص ١٦ ، ١٧) وأما دليل بطلانه فتسترد فيه إلى كلام صاحب المقاصد رحمه الله يقول (كل ممكن له سبب بالضرورة وفاعل جميع الممكنات لا يجوز أن يكون نفسها ، ولا بعض أجزائها لأنه يلزم كونه لنفسه ولظله . ويلزم كونه معطولا لجزء آخر لأن التقدير أن كل جزء فرض كونه مستقلا بفاعلية ذلك المجموع فعملته أولى بذلك فلا يتعين شيء من الأجزاء لذلك .
- ويتعين كون الفاعل المستقل بفاعلية ذلك المجموع خارجا عنها . والخارج عن سلسلة الممكنات سيكون واجبا بالضرورة إذ الممكن مالا وجود له من ذاته (راجع

فثبت أن صانع العالم قديم . (*) كما أن قدمه تعالى قدما ذاتيا وليس إضافيا ولا زمانيا فالزمانى هو وجود الشئ فى الزمن الممتد فى الأزل اللانهائى، والزمانى كما تعلم جزء من العالم فهو حادث بعد عدم وواجب الوجود لا يقبل العدم لا أزلا ولا أبدا . (١) .

كما أن قدمه ليس قدما إضافيا كقدم الشئ بالنسبة إلى شئ حادث بعده ومن أمثله قدم الأب بالنسبة إلى الابن .

• راجع المقاصد (ج ٢) ص ٤٣) ومن هذا يتبين لنا أن التسلسل يقتضى كون الشئ علّة
علّة نفسه متوقفا متأخرا - موجودا ومعنوما الخ

(*) راجع الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٢٦ ط دار الكتب العلمية

(١) شرح الجوهرة - اللقى ص ٥٤، ٥٥.

الدليل النقلى على صفة القدم:-

أدلة كثيرة منها قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم) (١) ومن السنة ما رواه البخاري بسنده عن عمران بن حصين -رضى الله عنه- قوله :-

قَالَ نَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَقَلْتُ نَفْتِي بِاللَّبِّ فَاتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ اقْبِلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ قَالُوا قَدْ بَشَرْتَنَا فَأَعْظِمْنَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ نَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اقْبِلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ قَالُوا قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالُوا جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ قَالَ كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ (٢)

١ - سرّة الطيّب الايه ٥٢

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ك بدء الخلق (ح) رقم ٢٩٥٣ ،

ثالثاً صفة البقاء :

معناه:- عدم آخرية الوجود أو هو عدم اختتام الوجود فالله تعالى باق لا آخر لوجوده ولا يلحقه فناء أو عدم .
الدليل العقلي على صفة البقاء . صانع العالم أبدي لا آخر له لأن من ثبت قدمه استحالة عدمه، ولأن وجوده واجب ووجوب وجوده يمنع عدمه فثباته .

* أو بصيغة أخرى يقال (لولم يكن الله تعالى باقياً لكان حادثاً وإذا كان حادثاً احتاج إلى محدث وهو محال فثبت أن الله هو الباقي وإذا كان الله تعالى قد ثبت قدمه فيثبت بالضرورة بقاءه يقول إمام الحرمين الجويني (رحمه الله) وكل ما دل على قدم الباري تعالى واستحالة عدمه ووجوب وجوده فهو دال على كونه باقياً ^(١)

^(١) راجع الإرشاد الجويني ص ٧٨

الدليل النقلى على صفة الإتياء

تطالعنا أدلة عديدة منها قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) (١) وقوله (كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) (٢)

صفة المخالفة للحوادث

معناها = عدم المماثلة فى الذات والصفات والأفعال فنقتضى المخالفة سلب الجرمية، والعرضية، والكلية، والجزئية، ولوازمها عنه تعالى، فلازم الجرمية التحيز، ولوازم العرضية القيام بالغير ولوازم الكلية الكبر، ولوازم الجزئية الصغر (٣)

(١) الرحمن ٢٦، ٢٧

(٢) القصص الآية ٨٨

(٣) (راجع شرح الجوهرة اللقائى ص ٥٧ د

أيضا ذهب أهل الحف قاطبة إلى أن الله تعالى يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات^(٢٢) .

****** ولندع صاحب الإرشاد يحدثنا عقليا عن مخالفته تعالى للحوادث فيقول (٠٠٠ لو كان الله تعالى مشابها للحوادث لاقتضى ذلك حدوثه وحاجته إليه وهو محال ، واقتضى أيضا قدم المشابهة له من الخلق ، وهو مستحيل ومع كونه تعالى غير مشابه لها لا ينفى وجود الحق تعالى ، لأن وجوده تقر به العقول السليمة والفطر النقية ولا يقتضى ذلك مشاهدة كنهه وقدر الغزالي مثل هذا الادعاء^(٢٣) . . . وقد رد الغزالي مثل هذا الادعاء بعد الاتفاق مع الخصم على وجوده تعالى لكن مع احتراز الخصم وعدم تصويره لمثل هذا الوجود فيقال له «ماذا تريد بقولك إنه غير مفهوم - إن أردت به أنه غير متخيل ولا متصور ولا داخل في الوهم فقد صدقت لأنه لا يدخل في الخيال إلا الأشياء المحسوسة . وأما إذا أردت أنه غير معقول أو لا معلوم فلا نسلم لك هذا إذ قد

^(٢٢) راجع الإرشاد الجويني ص ٣٩

^(٢٣) راجع أصول أهل السنة والجماعة - الأشعرى ت . د . محمد السيد الجليل ص ٦٥ وما بعدها .

ثبت وجوده بالدليل العقلي . وإذا قيل إن كل ما لا يتصور في
الخيال فلا وجود له ويجاب بأن (هناك أشياء موجودة ولا تدخل في
الخيال وذلك مثل الروائح والأصوات ألخ فهذا كله
لا يقع في الخيال مع وجوده ^(١) .

الدليل النقلى منه قوله تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)
^(٢) وقوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) ^(٣)

نفى الجوهرية عن الله تعالى :-

صانع العالم ليس بجوهر لأن الجوهر متجزئ وتحله الحوادث
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كما أنه تعالى ليس بجسم لأن
الجسم مؤلف من الجوهر وإذا بطل كونه جوهرًا بطل كونه
جسما ضرورة .

(١) راجع الاقتصاد في الاعتقاد - القرطبي .

(٢) سورة الشورى

(٣) سورة الإخلاص . الآية (٥)

نفى العرضية عن الله تعالى :

صانع العالم ليس بعرض لأن العرض لا قيام له بذاته بل هو مفتقر إلى جسم يقوم به والقديم عز وجل قائم بذاته غير مفتقر إلى محل يقوم به

نفى الصورة عن الله تعالى :

* الله تعالى ليس بصورة لأن الصورة تتشأ عن التركيب فإذا نفينا كونه جوهرًا وجسمًا نفينا كونه صورة

* كذلك الله تعالى لا يوصف، باللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. لأن الألوان والطعوم والحرارة والبرودة والروائح والطبائع الأربعة أعراض تحل في الجواهر فإذا نفينا كونه عرضًا وكونه محلاً للأعراض ينتفي جميع ذلك

• -

نفى الجهة والمكان عن الله تعالى :-

الله تعالى ليس في جهة معينة، ولا في مكان خاص يحويه لأنه ليس من العالم والذي يضم الجواهر والأعراض وهي بدورها متحيزة وداخله في العالم، وأما المولى عز وجل وتعالى عن

صفات المخلوقين علوا كبيرا برئ عن الجهة والمكان وقبل أن
 نبطل تلك الدعوى نبين مايلي:-

أولا:- مفهوم الجهة - أنواع الجهات - أدلة نفى الجهة عن
 الإله تعالى فنقول وبالله العون والتوفيق .
 *الجهة عبارة عن حيز خاص مضاف إلى شئ آخر متحيز.وهي
 كما نعلم ست أمام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال .

**دليل نفى الجهة عن الله تعالى بنفى الجسمية والعرضية

يقرر الغزالي رحمه الله أنه تعالى لو كان في جهة لكان جسماً أو عرضاً والجسم متحيز (أي أنه يشغل حيزاً من الفراغ) وهو حادث لعدم خلوه عن الحركة والسكون وما طرأ عليه التغير فهو حادث والعرض تابع له وذلك لأنه لا يتصور عرض بدون جوهر وما لازم الحادث فهو حادث فالعرض حادث فبطل كونه تعالى في جهة وذلك لاستلزامه المحال وهو كونه تعالى جسماً أو عرضاً وكلاهما باطلان. (١)

الدليل الثاني نفى الجهة المتحيزة الخاصة عن الله تعالى :-

*صانع العالم ليس في جهة ولا تحويه الجهات الست لأنها حادثـة وهو الذي خلقها فلو صار مختصاً بجهة بعدما خلقها لكان يتخصص بمخصص وذلك باطل .

*صانع العالم ليس فوق العالم ولا في جهة خارجه عنه لأنه لو كان كذلك لكان محافياً للعالم وكل محاذ بجسم إما أن يكون مثله

(١) راجع الاقتصاد في الاعتقاد الغزالي

أو أكبر أو اصغر وكان ذلك تقديرا يحتاج إلى مقدر تعالى عن ذلك^(١)

وقفه ورأى :- رفع الأيدي إلى السماء عند الدعاء إنما ترفع لأنها قبلة الدعاء كالتوجه إلى الكعبة في الصلاة ووضع الوجه على الأرض عند السجود وإن لم يكن الله عز وجل في الكعبة ولا تحت الأرض.

رابعاً: صفة القيام بالنفس:

معناها -

• عدم افتقاره إلى المحل وقيل عدم افتقاره إلى المخصص وقيل إنه الموجود المستغنى عن المحل أو القائم الموجود المستغنى عن المحل والمخصص.

• وهي صفة كمال فالقائم بنفسه أكمل ممن لا يقوم بنفسه ومن كان غناه من لوازم ذاته فقيامه بنفسه من لوازم ذاته وهذه حقيقة

(١) راجع أسس التقسيم الرأى ص ٣٢ ت د/أحمد حجازي السقا ط مكتبة الكليات الأزهرية

قيوميته سبحانه وهو الحي القيوم فالقيوم (القائم بنفسه المقيم
لغيره) فمن أنكر قيامه بنفسه بالمعنى المعقول فقد أنكر قيوميته
وأثبت له قياما بالنفس يشاركه فيه العدم المحض بل جعل
قيوميته أمرا عَمِيَا لا وصفا ثبوتيا وهي عدم الحاجة إلى المحل
ومعلوم أن العدم لا يحتاج إلى محل .

الدليل العقلي على قيامه بنفسه تعالى:-

(أنه لو افترق إلى مخصص لكان حادثا وهو محال وقد
ثبت وجوده وقدمه وبقائه ذاتا وصفاتا لكونه مستغن عن المحل
والمخصص معا .

أو يقال أنه تعالى:- لو حل محلا وافترق وجوده إليه لكان المحل
قديمًا وكان هو صفة إنكل محل موصوف بما قام به والصفة
تستحيل أن تتصف بالأحكام التي توجبها المعان ^(١)

* وأيضا فإنه يقال له ما تعني بعدم الحاجة إلى المحل تعني به
الأمر المعقول من قيام الشيء بنفسه الذي يفارق به العرض
القائم بغيره أم تعني به أمرا آخر فإن عنيبت الأول فهو المعنى

المعقول والدليل قائم والإلزام صحيح وإن عنيت به أمرا آخر،
فإنما أن يكون وجوديا أو عدميا فإن كان عدميا فالعدم لا شيء
كاسمه فتعود قيوميته تعالى إلى لا شيء، وإن عنيت به أمرا
وجوديا غير المعنى المعقول الذي يعقله الخاصة والعامة فلا بد
من بيانه لينظر فيه هل يستلزم المباشرة أم لا .

الدليل النقلى على القيام بالنفس:

منه قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى
الحميد) (٢)

صفة للوحدانية :

بالتطلع إلى العالم وما فيه من حولنا نلاحظ وحدة متكاملة إن دلت
على شئ فإنما تدلنا على وحدة الصانع فلا تعدد في ذات أو

صفات أو أفعال وهذه حقيقة فطرية أقرت بها الفطر السليمة وإن رانت عليها شوائب التقليد والأمانى والأهواء والعصبية إلا أنها إذا ذكرت عادت إلى ربها ومن هنا ندرك أن المشركين وغيرهم ممن عبدوا آلهة مع الله واتخذوها قربانا إليه تعالى ومن عبدوا الشمس والقمر ... الخ كلهم يتطلع إلى إله موجود ولكن وسائلهم مشرقة نائية عن الطريق الصواب ومن هنا كان إرسال الرسل رحمة منه تعالى وذلك تذكيرا للنفوس وعودة بها إلى ربها ومن الذكر الحكيم يقول الله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (١)

*****ومعناها:-** عدم التعدد في الذات والصفات والأفعال .

الدليل العقلي على وحدته تعالى :-

في هذا الإطار نجد أدلة ساطعة سطرها علماء الكلام منها ما يعرف ببرهان التمانع ومعناه أن يفعل كل واحد من القادرين ما يمنع به صاحبه وتقريره مايلي :

١- سورة النمل الآية (٦١)

****** (لو وجد إلهان لأمكن بينهما تمناع بأن يريد أحدهما حركة (جسم مثلا) والآخر سكونه لأن كلا منهما في نفسه ممكن وكذا تعلق الإرادة بكل منهما إذ لا تضاد بين الإراديتين بل بين المراديين، ويترتب على هذا الأمر ما يلي: أن يحصل المرء الآن وهذا باطل لأنه يؤدي إلى اجتماع الضدين ، أو أن يتم مراد أحدهما دون الآخر فيكون الثاني عاجزا والعجز دليل الحدوث فلا يصح كونه إلهًا .

****** ولا يتبقى معنا تبعا للقسمة العقلية أن لا يتم مرادهما معا فيكونا عاجزين، والعجز من سمات الحدوث كما نعلم، كما يترتب على هذا الأمر عدم وجود العالم . ويمكن تقريره بما يلي :-

صانع العلم واحد لا شريك له، لأنه لو كان له صانعان أو أكثر لوقع بينهما تمناع وتدافع وذلك خفض إلى الفساد ويؤدي إلى عجز أحدهما والعاجز لا يصلح أن يكون إلهًا فإذا تعذر إثبات صانعين كان واحدا ضرورة .

ويقول صاحب المواقف رحمه الله (يمتنع وجود إلهين مستجمعين لشرائط الإلهية إذ لو وجد إلهان قادران لكان نسبة المقدورات إليهما سواء ولو تعدت الآلهة لم يوجد شيء من الممكنات لاستلزام أحد المحليين وهما وقوع المقنور تحت قدرتين أو الترجيح بلا مرجح وكلاهما محال .

وننتقل إلى برهان التوارد تفصيلا فيورد حول توارد مؤثرين أو خالقين على مخلوق واحد وهذا الكلام جدلا على فرض اتفاقهما فيترتب عليه عدة التزامات تبطل هذا الزعم كلية وهي على النحو التالي :-

****** عدم الإيجاد معا لأنه يترتب عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد فأيهما خلق وأيها امتاز عن الآخر . ١٠٠ . ألخ ذلك أمر مجهول .

عدم إيجاده منهما معا بالاستقلال في وقتين مختلفين لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل وهو محال .

عدم إيجاده على سبيل المشاركة والمعانة وذلك لأنه يلزم منه عجز كل منهما على إيجاده بمفرده كما يلزم عليه احتياج كل منهما إلى مشاركة الآخر وكل ذلك باطل.

** عدم إيجاده على سبيل القسمة والتوزيع كان يخلق أحدهما السماء مثلاً والآخر الأرض وهذا باطل لما يلزم عليه من عجز كل منهما عن إيجاد ما أوجده صاحبه وكل ذلك محال . . ألخ والحق سبحانه وتعالى قد أعطانا وأرشدنا إلى أدلة وحدته فقال (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) ^(١) والمعنى كما يرى للرازي رحمه إذا لا تفرد كل واحد من الإلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به مولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخر ، ولغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون ، وحيث لم تروا أثر التمايز في الممالك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء .

^(١) سورة المؤمنون (٩)

وقال أيضا في معرض وبيان وحدته تعالى (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) (١)

يقول الرازي رحمه الله (إن الكفار كانوا يقولون عن ألهتهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله لو كانت هذه الأصنام كما تقولون من أنها تقربكم إلى الله لطلبت لأنفسها أيضا قربة إلى الله تعالى وسيلا إليه ولطلبت لأنفسها المراتب العالية والدرجات الشريفة من الأحوال للرفيعة فلما لم تقدر أن تتخذ لأنفسها سيلا إلى الله فكيف يعقل أن تقربكم إلى الله) (٢)

وقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (٣)

أي لو كان فيهما إلهان لفسد التنزيه لأن أحدهما إن أراد شيئا والآخر ضده كان أحدهما عاجزا وقيل معنى لفسدتا أي خربتا وهلك من فيها بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء فصبحان الله رب العرش عما يصفون منزه نفسه وأمر العباد أن ينزهوه عن أن يكون له شريك أو ولد قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم (٤)

(٢) سورة الإسراء ٤٢، ٤٣

(٣) راجع تفسير الكبير - القرطبي ج (٢٠) ص ٢١٨

(٤)

(١) راجع تفسير القرطبي ج (١١) ص ٧٩

وقو له (قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) (١٠٠) تلك الآية التي أعقبتها آيات ودلائل واضحة على توحيد الإله رب العالمين ورتت على دعوى تعدد الصانع . والمعنى كما يرى القرطبي رحمه الله (. قل لهم يا محمد الله خالق كل شيء فلزم لذلك أن يعبد كل شيء . والآية رد على المشركين والقدريّة الذين زعموا أنهم خلقوا كما خلق الله وهو الواحد قبل كل شيء القهار الغالب لكل شيء ، الذي يغلب في مراده كل مرید قال القشيري أبو نصر ولا يبعد أن تكون الآية واردة فيمن لا يعترف بالصانع أي سلهم عن خالق السموات والأرض فإنه يسهل تقرير الحجة فيه عليهم ويقرب الأمر من الضرورة فإن عجز الجماد وعجز كل مخلوق عن خلق السموات والأرض معلوم وإذا تقرر هذا وبان أن الصانع هو الله فكيف يجوز اعتداد الشريك له وبين في أثناء الكلام أنه لو كان للعالم صانعان لاشتبه الخلق ولم يتميز فعل هذا عن فعل ذلك فبم يعلم أن الفعل من اثنين (٢)

(١٠٠) سورة الرعد الآية (١٦) .
 (٢) راجع تفسير القرطبي (٩ ج) ص ٣٠٤

وقو له تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا) (٢٢٠)
فلا يمكن أن تستوي هذه القسمة إنها قسمة ضيزى، ولقد أرسل
الله تعالى المرسلين إلى أقوامهم وييدهم لواء التوحيد وفي هذا
يقول الله تعالى عن دعوة الأنبياء جميعا (وما أرسلنا من قبلك
من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٢١)

* وفي دعوة الأنبياء تفصيل وصنق ماسلف بيانه وعلى سبيل
المثال يقول الله تعالى عن دعوة هود عليه السلام (وإلى عاد
أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (٢٠٠)
(وقوله في حق صالح عليه السلام) (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (٢١) إلى آخر الأنبياء
والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم قال له ربه (قل هو الله
أحد الله للصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) (٢٢)

٢٠٠ سورة الزمر الآية (٢١)
٢١ سورة الأنبياء الآية (٢٠)
(٢) سورة هود الآية (٢٠)
(٣) سورة هود الآية (٢١)
(٤) سورة الإخلاص الآية (١ - ٤)

عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للتبي صلى الله عليه وسلم يا محمد اتسب لنا ربك فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد ثم الله الصمد ثم لم يلد ولم يولد ثم ولم يكن له كفوا أحد وكذا رواد الترمذي وابن جرير عن أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود بن خذاف عن أبي سعيد محمد بن مسرة به زاد ابن جرير والترمذي قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد ولم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثل شيء ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعد محمد بن مسر به ثم رواد الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فنكره مرسلا ثم لم ينكر أخبرنا ثم قال الترمذي وهذا أصح من حديث أبي سعد حديث آخر في معناه قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا سريج بن يونس حدثنا إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل قل هو الله أحد إلى آخرها بسنده مقارب * (١)

فقله الله أحد (دل على نفى الشريك من كل وجه في الذات أو الصفات أو الأفعال كما دل على تفرد سبحانه وتعالى بالعظمة والكمال والمجد والكبرياء والجلال... الخ وقوله الله الصمد أي السيد الذي كمل في سؤدده والشراف الذي كمل في شرفه

(١) راجع تفسير ابن كثير (القرآن العظيم) ج ٥ ص (٢١) ص (٦٩١) ج ٢ من تفسير المازني .

والعظيم الذي كمل في عظمته... ألخ وقوله ولم يلد ولم يولد
فهو توحيد للتنزيه ومعناها أي لم يتفرع عنه شيء ولم يتفرع هو
عن شيء وليس له مكافئ ولا ممتثل ولا نظير... ألخ (١)
وهذه الأدلة والتي تدور حول البرهان العقلي بإيراد برهاني
التمانع والتوارد تبين وحدة الذات الإلهية مع نفى الكم المنفصل
عنه تعالى.

***** وإليك الحديث الآن عن وحدة الذات مع نفى الكم المتصل**
والذي يكون لكم فيه شخصا واحدا ولكنه مركب من أجزاء
وإليك بيان هذا الأمر على الوجه الذي عرضه صاحب العقيدة
الاصفهانية والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه بوجه وإلا لما
كان واجب الوجود لذاته ضرورة افتقاره إلى ما تركيب منه ويلزم
من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان إذ لو كان لزم وجود الاثنان
بلا امتياز وهو محال .
فطريقهم في تقرير هذا أنه لو كان اثنان واجبا الوجود لكانا
مشتركين في وجوب الوجود .

(١) راجع شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية رحمه الله ت محمد خليل هراس مراجعة /أ/ عبد
المرتضى عيسى ص ٢٦ ط دار الاعتصام

فإن كان كل منهما ممتاز عن الآخر بتعيينه كان كل منهما مركبا
مما به الاشتراك وما به الامتياز، فيكون كل منهما مركبا وقد
تقدم إن التركيب محال،

وإن لم يكن أحدهما ممتاز عن الآخر يلزم وجود اثنين بلا
امتياز (٠٠٠) وهذا الأمر يحمل وجوها منها :-

أحدها: - أن يقال قول القائل إنه يلزم افتقاره إلى ما ركب منه
وذلك يناقض وجوب الوجود ممنوع لأن غاية ما فيه أن ما ركب
منه جزء من أجزائه وقول القائل إن المركب مفتقر إلى جزئه
ليس بأعظم من قوله إنه مفتقر إلى كله فإن الافتقار إلى المجموع
أشد من الافتقار إلى بعض المجموع فالمفتقر إلى المجموع مفتقر
إلى كل جزء منه والمفتقر إلى جزء منه لا يلزم أن يكون مفتقرا
إلى الجزء الآخر ومعلوم أن افتقاره إلى الجميع هو افتقاره إلى
نفسه وهو معنى قوله هو واجب بنفسه فعلم أن وجوبه بنفسه لا
يوجب الافتقار المناقض لوجوب الوجود .

**** الوجه الثاني أن يقال وجوب الوجود الذي دل عليه الدليل**
ينفي أن يفقر إلى أن يكون مفتقرا إلى شيء خارج عن نفسه إذ

لو كانت الممكنات لا بد لها من وجود غير ممكن موجود بنفسه وهذا ينفي أن يفتر إلى شيء خارج عن نفسه فلو قيل إنه موجود بنفسه مستغن عن غيره وإنه مفتر إلى غيره للزم الجمع بين النقيضين فأما ما هو دحل في مسمى نفسه فليس هو شيئاً خارجاً عن نفسه حتى يقال افتقاره إليه ينافي وجوده بنفسه

**** الوجه الثالث أن يقال اسم الغير فيه اصطلاحان أحدهما أن أحد الغيرين ما جاز للعلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر والآخر أن الغيرين ما جاز مفارقة أحدهما الآخر بوجود أو إمكان أو زمان والأول اصطلاح المعتزلة والكرامية والثاني اصطلاح الكلابية والأشعرية فإن قيل بالثاني فجزؤه وصفته ليس بغير له فلا يكون ثبوته موجبا لافتقاره إلى غيره وإن قيل بالأول فثبوت الغير بهذا التغير لا بد منه فإنه يمكن العلم بوجوده والعلم بوجوبه والعلم بانه خالق والعلم بعلمه والعلم بإرادته وهم يعبرون عن ذلك بالعقل والعناية وهذه المعاني أغيار على هذا الاصطلاح وثبوتها لازم لواجب الوجود وإذا كان ثبوت هذه الأغيار لازما له لم يجز القول بنفيها لأن نفيها يستلزم نفي واجب الوجود وعلم**

أن مثل هذا وإن سمي تركيباً فليس منافياً لوجوب الوجود
..... الخ (١)

وفصل ابن حزم ذلك في المحلى برهان ذلك أنه (لما صح
ضرورة أن العالم كله مخلوق وأن له خالقاً وجب أن لو كان
الخالق أكثر من واحد أن يكون قد حصرهما العدد وكل معدود
فنو نهاية كما ذكرنا وكل ذي نهاية فمحدث .

* وأيضاً فكل اثنين فهما غيران وكل غيرين ففيهما أو في
أحدهما معنى ما صار به غير الآخر فعلى هذا كان يكون أحدهما
ولا بد مركباً من ذاته ومما غاير به الآخر وإذا كان مركباً فهو
مخلوق مدبر فيبطل كل ذلك وعاد الأمر إلى وجوب أنه واحد ولا
بد وأنه بخلاف خلقه من جميع الوجوه والخلق كثير محدث
فصح أنه تعالى بخلاف ذلك وأنه واحد لم يزل إذ لو لم يكن
كذلك لكان من جملة العالم تعالى الله عن ذلك (٢)

(١) راجع العقيدة الاصفهانية (ج ١) ص ٣٧

(٢) ابن حزم ذلك في المحلى .

****وَأَمَّا وَحْدَةُ الْأَفْعَالِ:-** فمعناها أنه تعالى الفاعل الحقيقي لكل الأشياء فهو الخالق وحده وهو الرازق فلا تأثير لشيء في شيء أبدا سواء أكان التأثير عن طريق الاختيار أو عن طريق العلة والمعلول ألخ فلا يحدث فعل لإلزامه تعالى ... الخ^(١)

وَحْدَةُ الْأَصْفَاتِ كَمَا يَصْرُهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَحِمَهُ اللَّهُ

****وفي رسالة التوحيد يقول الإمام محمد عبده عن الوحدة** ... **وَأَمَّا الْوَحْدَةُ الْذَاتِيَّةُ فَقَدْ أُثْبِتَتْهَا فِيمَا تَقْدِمُ بِنَفْيِ التَّرَكِيبِ فِي ذَاتِهِ خَارِجًا وَعَقْلًا وَأَمَّا الْوَحْدَةُ فِي الصِّفَةِ أَيَّ أَنَّهُ لَا يَسَاوِيهِ فِي صِفَاتِهِ الثَّابِتَةِ لَهُ مَوْجُودٌ،**

فَلَمَّا بَيَّنَّا مِنْ أَنَّ الصِّفَةَ تَابِعَةٌ لِمَرْتَبَةِ الْوُجُودِ وَلَيْسَ فِي الْمَوْجُودَاتِ مَا يَسَاوِي وَاجِبَ الْوُجُودِ فِي مَرْتَبَةِ الْوُجُودِ فَلَا يَسَاوِيهِ فِيمَا يَتَّبَعُ الْوُجُودَ مِنَ الصِّفَاتِ) . وبذلك ينتفي التعدد في

^(١)راجع الألوهية في الفكر الإسلامي د/ عبد الله الشاذلي ص ١٥١

الصفات مع الانفصال في نوات متعددة كذلك ينتفى التعدد في
الصفة الواحدة كوجود قدرتين ٠٠٠ الخ وذلك لاستلزام المحال
ومنه اجتماع قدرتين على مقدور واحد ٠٠٠ الخ أو أن تكون
الثانية عبثاً لافائدة منها مع نفاذ الأولى أو يترتب عليه احتياج
كل مكن الصفتين إلى الآخر ويلزمه نقص كل صفة عن الفعل
أو العمل أو اليجاد ومن هذا يستحيل التعدد في الصفة الواحدة
وهذا ما يعرف بوحدة الصفة مع نفى الكم المنفصل (١).

واما الوحدة في الوجود وفي الفعل ونعنى بها التفرد

بوجوب الوجود وما يتبعه من إيجاد الممكنات فهي ثابتة لأنه لو
تعدد واجب الوجود لكان لكل من الواجبين تعين يخالف تعين
الآخر بالضرورة والألم يتحصل معنى التعدد وكلما اختلفت
التعينات اختلفت الصفات الثابتة للنوات المتعينة، لأن الصفة إنما
تتعين وتقال تحققها الخاص بها بتعين ما ثبتت له بالبداهة فيختلف
العلم الإرادة باختلاف النوات الواجبة إذ يكون لكل واحدة منها
علم وإرادة يباينان علم الأخرى وإرادتها ويكون لكل واحدة علم

(١) راجع السجدي على شرح الجوهرة .

وإرادة يلائمان ذاتها وتعينها الخاص بها هذا التخالف ذاتي لأن علم الواجب وإرادته لازمان لذاته من ذاته لا لأمر خارج فلا سبيل إلى التغير والتبدل فيهما كما سبق وقد قلنا أن فعل الواجب إنما يصدر عنه على حسب علمه وحكم إرادته فيكون فعل كل صادرا على حكم يخالف الآخر مخالفة ذاتية .

فلو تعدد الواجبون لتخالفت أفعالهم بتخالف علومهم وإرادتهم وهو خلاف يستحيل معه الوفاق وكل واحد بمقتضى وجوب وجوده وما يتبعه من الصفات له السلطة على الإيجاد في عامة الممكنات فكل له التصرف في كل منها على حسب علمه وإرادته ولا مرجح لنفاذ إحدى القدرتين دون الأخرى فتتضارب أفعالهم حسب التضارب في علومهم وإرادتهم فيفسد نظام الكون بل يستحيل أن يكون له نظام بل يستحيل وجود ممكن من الممكنات لأن كل ممكن لا بد أن يتعلق به الإيجاد على حسب العلوم والإرادات المختلفة فيلزم أن يكون للشيء الواحد وجودات متعددة وهو محال فلو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا لكن الفساد

يَمْتَنِعُ بالبداهة فهو جل شأنه واحد في ذاته وصفاته لا شريك له
في وجوده ولا في أفعاله وحده.

صفات المعاني:

مفهومها :- وهي كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكما .
وهي سبع القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام
الذي ليس بحرف ولا صوت . الخ

صفة القدرة :-

معناها :- هي صفة وجودية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد
كل ممكن وإعدامه .

صانع العالم قادر بقدره كاملة لأن حصول الأفعال المحكمة المتقنة لن يتصور وجودها إلا من قادر قدير .

الدليل العقلي على صفة القدرة :

والدليل على قدرته إيجاده الأشياء وهي إما بالذات وهو محال وإلا لكان العالم وكل واحد من مخلوقاته قديما وهو باطل مفتعين أن يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب فقد يقال هذا إنما أثبت به أنه فاعل بالاختيار، وإن كان لم يقرر مقدمات دليhle وفعله بالاختيار يثبت الإرادة ولا يثبت القدرة وهو قد أثبت الإرادة فيما بعد فظاهر هذا أنه كرر دليل الإرادة .

• ولم ينكر على القدرة دليلا لكن تقرير ذلك أن يقال إنه إما أن يكون المبدع للأشياء مجرد ذات عارية عن الصفات يستلزم وجوده المفعول كما يقوله المتفلسفة القائلون بقدم الأفلاك وإما أن يكون ذاتا موصوفة بالصفات لا يجب معها وجود المخلوقات كما عليه أهل الملل وإذا أردت التقسيم الحاضر قلت الفاعل إما مجرد الذات وإما الذات بصفة فإن كان الأول فمعلوم أن العلة السامة تستلزم وجود المعلول فإذا كان مجرد الذات هو الواجب

فمجرد الذات علة تامة فيلزم وجود المعلول جميعه ويلزم قدم جميع الحوادث وهو خلاف المشاهدة وإن كان الثاني فالصفة التي يصلح بها الفعل هي القدرة أو يقال فإذا لم يكن موجبا لذاته بل بصفة تعين أن يكون مختارا فإنه إما موجب بالذات وإما قاصر بالاختيار والمختار إنما يفعل بالقدرة إذ القادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يفعل فأما من يلزمه المفعول بدون إرادته فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة الذي تلزمه الحركات الطبيعية التي لا قدرة له على فعلها ولا تركها^(١)

تعلقات القدرة :-

صلوحى قديم :- وهو صلاحية القدرة أزلا للإيجاد والإعدام .
تجيزى حادث :- وهو صلاحيتها للإيجاد والإعدام بالفعل ومن هذا المنطلق فالقدرة لها تعلقان أحدهما يتطلب الصلاحية الأزلية

(١) العقيدة الاصفهانية ج ١ ص ٤٤

للإيجاد والإعدام وإلى كون الممكن فيما لا يزال أى فى الوجود
الدنيوى قبل وجوده بالفعل فى قبضة القدرة .

الدليل النقلى على القدرة منه قوله تعالى (إن الله على كل شئ
قدير) وقوله (.. الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن
ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد
أحاط بكل شئ علما ..) وقوله (تبارك الذى بيده الملك وهو على
كل شئ قدير) .. الخ

صفة الإرادة :-

مفهومها : لغة مطلق القصد وعرفا :صفة قديمة زائدة على الذات قائمة بها تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه . (١) وإليك تعريفا إجماليا لبعض محترزات التعريف فقول اهل الكلام بأنها

(١) الكرامية ثلاث فرق حقائقية وطرائقية وإسحاقية ويعد جميعهم فريقا واحدا إذ لا يكفر بعضهم بعضا وزعيمهم محمد بن كرام كان من مجستان فنفي عنها فوقع في غرجستان فاغتر بظاهر عيالته أهل شومين والفشين واتخذوا بنفاقه ويأبوعه على خرافاته وخرج معه قوم إلى نيسابور في أيام محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر فاغتر بما كان يريه من زهده جماعة من أهل السواد فدعاهم إلى بدعه والفشي فيهم ضلالاته واتبع بها قوم من أتباعه وتمربوا على نصرة جهالاته وما أحدثه من البدع في الإسلام أكثر من أن يمكن جمعه في هذا المختصر ولكننا نذكر من كل نوع شيئا يتنبه به العاقل عن فساد ما كان ينتحله منها أنه كان يسمى معبوده جسما وكان يقول له حد واحد من الجنب الذي ينتهي إلى العرش ولا نهاية له من الجوانب الأخر كما قلت التنوية في معبودهم أنه نور متناه من الجنب الذي يلي الظلام فلما من الجوانب الخمس الأخر فلا يتناهي وقد ذكر في كتابه ذاب القبر أن معبوده أحدي الذات أحدي الجوهر وأطلق عليه اسم الجوهر كما أطلقه النصارى وأتباعه يتبرأون من إطلاق اسم الجوهر ويطلقون عليه اسم الجسم كامتناع المعروف بشيطان اللطاف من الروافض من إطلاق اسم الجسم عليه ثم قوله على أنه صورة تسبان فكان ما فروا إليه شرا مما فروا عنه ومما ذكر في ذلك الكتاب قوله أنه تعالى ممسك للعرش والعرش مكان له ولما نظر أتباعه إليه فروا مما فيه من الشنعة فقلوا لا نقول أنه ممسك للعرش ولكننا نقول أنه ملائ للعرش وليت شعري أي تفرقة بينهما لولا غباوة الخلق وغفلتهم عن التحقيق . راجع التبصير في الدين ص ١١١

راجع شرح الجوهرة ص ٧٧

صفة قديمة فهو رد على من زعم أنها صفة حادثة كالكرامية^(١)
 فأرادته تعالى كما يقول الغزالي رحمه الله قديمة تتعلق بإحداث
 الحوادث في أوقاتها اللانقة بها على وفق سبق العلم الأزلي^(٢)
 ويؤكد الإمام الجويني نفس هذا الأمر وهو ثبوت هذه الصفة لله
 تعالى بقوله (صانع العالم مريد على الحقيقة عند أهل الحق)^(٣)
وأما كونها زائدة على الذات:- فذلك رد على الفلاسفة
 والمعتزلة^(٤) ممن اعتبروا الصفات هي نفس الذات .
 وأما كونها يقوم بها التخصيص فذلك أيضا رد على من زعم
 أنها صفة قائمة لا بمحل يقول أبو علي وهشام (إنه تعالى مريد
 في الحقيقة وإرادته محدثة ولا يصح أن تكون إرادته قديمة
 وإرادته توجد لافي محل)^(٥) وفيه رد أيضا على من قال إنها صفة
 سلبية... الخ

(١) راجع إحياء علوم الدين ص ١٩١

(٢) راجع لمع الأئمة الجويني ص ٨٣

(٣) تسمت بهذا الاسم المنشق من العزلة فرقة مشهورة كان لها أثرها البارز في
 أثرت الجانب العقلي في الحياة الفكرية ناهيك عن الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه ألا
 وهي فرقة المعتزلة والتي تنسب إلى واصل بن عطاء رأس المعتزلة^(١)
 (٤) راجع المقنى للقاضي عبد الجبار رحمه الله ج (٦) ص ٣ ت د/إبراهيم مذكور .

وأما كونها مخصصة للممكن فذلك ما تتعلق به . من حيث
تخصيص الممكن وترجييه ببعض ما يجوز عليه وهي تشمل
الممكنات التقابلات وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات كذا المقادير الثقات
فتخصص الوجود بدلا من العدم وبالصفة المخصصة دون
غيرها وكذا القول في الزمان والمكان والجهة والمقدار . وكلها
تعرف بالمتقابلات (١).

تعلقات الإرادة :- لعلماء الكلام وجوه في تعلقات الإرادة إليك
إياها
:- صلوحى قديم وهو صلاحيتها في الأزل للتخصيص مع ثبوت
التخصيص بالفعل أزلا .

(١) راجع الألفية في الفكر الإسلامى ص ١٧٩

* تتجيزى قديم ومعناه تخصيص الله الشئ أزلا بالصفات التي

يعلم أنه يوجد عليه في الخارج .

فإن الله تعالى يخصص الشئ أزلا ثم يوجد على النحو المخصص

به ويسمى هذا التجيزى الحادث .

* تتجيزى حادث وهو تخصيص الله تعالى الشئ بما تقدم

إيجاده بالفعل ولا يتعلق به الإرادة فهي صالحة أزلا وهو المسمى

بالصلوحى القديم ثم إنها خصصته فعلا قبل وجوده لأنه لا يعقل

أن توجد قبل التخصيص .

** هذا وتغاير الإرادة للعلم وذلك لتعلق العلم بجميع الواجبات

والجائزات والمستحيلات بينما تتعلق الإرادة بالجائز وأيضاً تغاير

الإرادة للعلم . وكذا الأمر الإلهى مع الإرادة له شأن فقد يأمر

المولى ولا يريد وكذا للعكس على خلاف ما يرى المعتزلة

فيقررون أن الإرادة والأمر متحدان، أو بمعنى آخر أنهما

متلازمان فكل ما يأمر به المولى عز وجل يريد، وكل ما لا يأمر به

عز وجل لا يريد، ويترتب على هذا القول أمور خطيرة منها أن

الله تعالى أمر بالطاعة وأمرها ولم يأمر بالشرور فلا يريد

ولاشك أنه يترتب عليه وقوع أمور لا يعلمها الله . ومن هنا
 رفض أهل السنة مقولة المعتزلة وقرروا أنها متغايران فالإرادة
 تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، كما علمناه وأما الأمر فهو
 طلب وقوع المأمور به وهو أحد أقسام صفة الكلام من أمثلة هذا
 الرأي عند الأشاعرة أن الله تعالى قد يريد الشيء ولا يأمر به كما
 في كفر من تعلق علم الله تعالى بكفره كأبي جهل، وقد يأمر به
 ولا يريد به كما في إيمان الخلق وعدم إرادته من الكفار، وقد يأمر
 به ويريده كما في إيمان المؤمنين فقد لا يأمر به ولا يريد به كما في
 كفر من آمن فلا يأمر به ولا يريد به سبحانه وتعالى ^(١) والواقع
 يقرر أن الإرادة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه وكل هذه
 الأمور المخصصة تنطلق من علم إلهي أحاط بكل شيء .

- الدليل العقلي :-

منه قولك :- لو لم يكن الله تعالى مريدا لجميع الكائنات التي وقعت
 لكان الله تعالى مكرها على فعلها، وهذا ما لا يقول به عاقل . أو
 بشكل آخر كما أورده البغدادى يقال (:- صانع العالم مريد

(١) راجع الألوهية في الفكر الإسلامي ١٠٠ عبد الله الشنولى ص ١٨٠

الكائنات مدبر الحادثات لأنه لو لم يكن مريداً - ولا تحدث الأشياء إلا بإرادته - ومشينته لكان مضطراً وهو إمارة العجز تعالى الله عن ذلك السمع والبصر (١)

الدليل النقلى منه قوله تعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)
 وقوله (فعال لما يريد) وقوله (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة .)

(١) راجع أصول الدين - البغدادي رحمه الله - ج (١) ص ٩٧

صفة العلم :-

مفهومه :- صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات تتعلق انكشاف وإحاطة دون سبق خفاء أو جهل .

فالله تعالى عالم بجميع المعلومات كليتها وجزئيا تهالا يعزب عن علمه مقال ذرة في السموات العلا ولا في الأرضيين للسفلي .

* الدليل العقلي :- أن يقال (أنه لو لم يكن عالما لكان موصوفا بضده وهو الجهل وذلك نقص تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا^(١)) أو يقال فيه أنه :-

(يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل فإيجاد الأشياء يتم بالإرادة والإرادة تستلزم تصور المراد وهو العلم بالمراد فإيجاد الأشياء مستلزم للعلم . كما أن المخلوقات كمانشاهدها فيها من الأحكام والإتقان ما يستلزم علم خالقها، ولأن الفعل المحكم الممتن يمتنع

^(١) راجع التبصير في الدين للاسفرابني ص ١٤٥ ونهاية الأقدام للشهرستاني ص

٤٧ وتبصرة الأئمة ص ١١٠ .

صدوره عن غير علم كما يستحيل أن يكون المخلوق أعلم من خالقه . . ألخ وهذا أمر بدهي كما أن الواجب أكمل من الممكن فكل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق أولى وأحق به وكذا القول في نقيضه .

ولا ريب أن العلم صفة كمال فالعالم أكمل من الجاهل . والدلائل الدالة على علم الله كثيرة مثل أنه سبحانه خالق كل شيء بإرادته والإرادة تستلزم تصور المراد، فلا بد أن يعلم المخلوقات قبل أن يخلقها . وكلما وجد في الخارج فهو موجود وجودا معيناً يمتاز به عن غيره فإذا خلقها كذلك فلا بد أن يعلمها علماً مفصلاً يمتاز به كل معلوم عما سواه، ولو قدر أنه علمها على وجه كلي فقط لم يكن علم منها شيئاً لأن الكلي إنما يكون كلياً في الأذهان وأما ما هو موجود في الخارج فهو معين مختص بعينه ليس بكلي . وكل واحد من الأفلاك معين فلو لم يعلم إلا الكليات لم يكن عالماً بشيء من الموجودات وقد بسط في غير هذا الموضع تمام الكلام على هذا وبين فساد شبه نفاة ذلك بما ادّعوه من لزوم التغيير أو التكثر . وبين أنه لا يلزم من ثبوت علم الله بالأشياء كلها على وجه

التفصيل محذور ينفيه دليل صحيح فإن التكثر فيما يقوم به من المعاني هو مذلول الأدلة العقلية والسمعية فإنه عالم قادر حي وليس العلم هو القدرة ولا القدرة هي الحياة ولا الصفة هي الموصوف ومن جعل كل صفة هي الأخرى وجعل الصفات هو الموصوف فهو قول في غاية السفسطة وأيضاً فإنه خالق العالمين من الملائكة والجن والإنس وجاعلهم علماء فيمتنع أن يجعل غيره عالماً من ليس هو في نفسه بعالم فإن العلم صفة كمال ومن يعلم أكمل ممن لا يعلم وكل كمال للمخلوق فهو من الخالق فيمتنع أن يكون المخلوق أكمل من الخالق وأيضاً فإن في الممكنات المحدثّة المخلوقة ما هو عالم والواجب القديم الخالق أكمل من الممكن المحدث فيمتنع أن يتصف بالكمال الموجود^(١) واليك ما ذكره صاحب العقدة الاصفهانية: يقول :-

(١) راجع الجواب الصحيح ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني مدينة النشر :: الرياض

سنة النشر :: ١٤١٤ رقم للطبعة :: الأولى عدد الأجزاء :: ٦

اسم المحقق :: د. علي حسن ناصر د. عبد العزيز إبراهيم العسكر د. حمدان محمد

*والدليل على علمه إيجاده الأشياء لاستحالة إيجاده للأشياء مع
الجهل فهذا الدليل مشهور عند نظر المسلمين أولهم وآخرهم
والقرآن قد دل عليه كما في قوله تعالى / ألا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير / والمتفلسفة أيضا سلوكه وبيانه من وجوه
أحدها أن إيجاده للأشياء هو بإرادته كما سيأتي والإرادة تستلزم
تصور المراد قطعاً وتصور المراد هو العلم فكان الإيجاد
مستلزماً للإرادة والإرادة مستلزمة للعلم فالإيجاد مستلزم للعلم
الثاني إن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم
الفاعل لها لأن للفعل المحكم المتقن يمتنع صدره عن غير عالم
وبهذين الطريقين يتقرر ما ذكره ولهم طرق منها أن من
المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة كمال ويمتنع أن لا يكون
الخالق عالماً وهذا له طريقان أحدهما أن يقال نحن نعلم
بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق وأن للواجب أكمل من
الممكن وتعلم ضرورة أننا إذا فرضنا شيئين أحدهما عالم والآخر
غير عالم كان العالم أكمل منه فإذا لم يكن الخالق سبحانه عالم
يلزم أن يكون غير عالم أي جاهلاً وهو ممتنع الثاني أن يقال

كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منهم ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاري منه بل هو أحق والله سبحانه وله المثل الأعلى لا يستوي هو والمخلوق لا في قياس تمثيل ولا قياس شمول بل كل ما أثبت لمخلوق فالخالق به أحق وكل نقص تنزه عنه مخلوق فتنزيه الخالق عنه أولى^(١)

* الدليل النقلي : منه قوله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة ألا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)^(١)

^(١) راجع العقيدة الاصفهانية (ج ١ ص ٤٣ سم الكتاب :: شرح العقيدة الاصفهانية

اسم المؤلف :: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس .

ولادة المؤلف :: ٦٦١ وفاة للمؤلف :: ٧٢٨ دار للنشر :: مكتبة الرشد بمدينة

النشر :: الرياض سنة النشر :: ١٤١٥

رقم الطبعة :: الأولى عدد الأجزاء :: اسم المحقق :: إبراهيم سعيداي .

^(١) سورة الأنعام الآية رقم (٥٩)

وقوله (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما
تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال
(١٠) ومن السنة نقرأ حديثه صلى الله عليه وسلم والذي يرزويه
ابن ماجه في سننه بسنده عن أبي نر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى يقول يا عبادي كلكم
مذنب إلا من عافيت فسلوني المغفرة فأغفر لكم ومن علم منكم
أنني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرتني بقدرتي غفرت له وكلكم
ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهديكم وكلكم فقير إلا من
أغنيت فسلوني أرزقكم ولو أن حيكم وميتكم وأولكم وآخركم
ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فكانوا على قلب اتقى عبد من عبادي
لم يزد في ملكي جناح بعوضة ولو اجتمعوا فكانوا على قلب
أشقى عبد من عبادي لم ينقص من ملكي جناح بعوضة ولو أن
حيكم وميتكم وأولكم وآخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فسأل كل
سائل منهم ما بلغت أميئته ما نقص من ملكي إلا كما لو أن أهلكم
مر بشفة البحر فغمس فيها إبرة ثم نزعها ذلك باني جواد ماجد

عَطَانِي كَلَامَ إِذَا أَرَنْتُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
 * (٢) وايضا نلاحظ تبرئة جابه عليه السلام من علم الغيب لإلّا بآذن
 الله وفي هذا المقام تطالعنا السيدة عائشة بقولها عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ
 كُنْتُ مَتَكُنًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ
 مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ
 أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَقُولُ (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
 الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا
 وَخْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) وَكَنتُ مَتَكُنًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ يَا أُمَّ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تُعْجِلِينِي أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَقَدْ رَأَاهُ
 نَزْلَةً أُخْرَى) (وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ) قَالَتْ أَنَا وَاللَّهِ أَوَّلُ مَنْ
 سَأَلَ عَنْ هَذَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّمَا ذَاكَ
 جِبْرِيلُ مَا رَأَيْتُهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي خُلِقَ فِيهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ
 رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ
 عَلَى اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)

(٢) لفرجه ابن ملجة في مثقه (٢) الفرع ج (٢٢٧)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفَرِيَّةَ عَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
يَقُولُ (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) قَالَ
أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَمَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ يُكْنَى
أَبَا عَائِشَةَ وَهُوَ مَسْرُوقُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَذَا كَانَ اسْمُهُ فِي
الْثِّيَّانِ * (١)

صفة الحياة :-

قيل في تعريفها :-
إنها صفة أزلية تقتضي صحة العلم تقتضي صحة الاتصاف به
بغيره من الصفات الواجبة. (***)
وأما حياتنا الحسية فعرفت بأنها كيفية يلزمها قبول الحس
والحركة الإرادية أى عرض يلزمه قبول الإحساس وقبول
الحركة الإرادية بخلاف الحركة الاضطرارية كحركة الحجر
بحركة محركه. وأما صفة هذه الحياة الخاصة بالله تعالى فهي .

(١) لخرجه لترمذى فى سننه كـ (تفسير القرآن ح) (رقم ٢٩٩٤)

(***). راجع شرح الجوهرة ص ٨٥

حياة أزلية لا بروح بداخله ولا نفس يخرج منه (شأن غيره تعالى
(لأن وجود هذا العالم البديع صنعته لن يتصور إلا من حي
قادر العلم *

(الدليل العقلي على صفة الحياة :-)

(إن الله تعالى لو لم يتصف بالحياة لاتصف بضدها وهو الموت
والموت نقص لا يمكن أن تقوم معه قدرة ولا إرادة ولا علم ^(١) .
* أو يقال لو لم يصف الله تعالى بالحياة ما اتصف بالعلم والسمع
إذ يستحيل قيامها بغير حي أو بصيغة أخرى أن يقال إن الله
تعالى عالم بكل عالم يجب أن يكون حيا إذ الحياة شرط للعلم
وطريق هذا الأمر الواقع المحسوس المشاهد ^(٢) . ويعطينا
الغزالي رحمه الله مثالا على ذلك بقوله (ولو تصور قادر
وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة

راجع شرح الجوهرة اللقنى ص ١٧

^(١) راجع تبصرة الأكلة ص ١١٠ والتبصير الاسفراينى ص ١٤٥

^(٢) راجع شرح البيجورى على الجوهرة ص ٨٤

الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب
الحرف والصناعات وذلك إغماس في الجهالات والضلالات .^(٢)
ويقول الشيخ محمد عبده رحمه الله (.....) لو لم تثبت له هذه
الصفة لكان من الممكنات ما هو أكمل منه وجودا ، وهو أعلى
الموجودات وأكملها . فالواجب هو واهب الوجود . فكيف لو
كان فاقدا للحياة يعطيها ؟ فالحياة له إنه مصدرها ؟^(٣)

الدليل على أنه حي علمه وقدرته لاستحالة قيام العلم والقدرة
بغير الحي فهذا دليل مشهور للنظار يقولون قد علم أن من شرط
العلم والقدرة الحياة فإن ما ليس بحي يمتنع أن يكون عالما إذ
الميت لا يكون عالما والعلم بهذا ضروري وقد يقولون هذه
الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ولا غائبا فتقدير عالم لا حياة به
ممتنع بصريح العقل — وكذلك قوله والدليل على إرادته

(٢) راجع إحياء علوم الدين الغزالي ص ١٨٨ ط الشعب

(٣) راجع الرسالة للشيخ محمد عبده ته/ محمد أبو ريه ص ٤٤ - الثلاثة دار

تخصيصه الأشياء بخصوصياته واستحالة المخصص من غير
مخصص، فإن هذا الدليل مشهور للنظار ويقرر هكذا أن العالم
فيه تخصيصات كثيرة مثل تخصيص كل شيء بماله من القدر
والصفات والحركات كطوله وقصره وطعمه ولونه وريحه
وحياته وقدرته وعلمه وسمعه وبصره وسائر ما فيه مع العلم
الضروري بأنه من الممكن أن يكون خلاف ذلك إذ ليس واجب
الوجود بنفسه ومعلوم أن الذات المجردة التي لا إرادة لها لا
تخصص وإنما يكون التخصيص بالإرادة ولو قيل التخصيص هو
بأسباب معلومة كالأرض والأشجار تكون مختلفة فإذا سقيت بماء
واحد اختلف ثمارها لاختلاف القوابل كما أن الشمس تختلف
آثارها بحسب القوابل كما تبيض الثوب وتسود وجه القصار
وتلين اليبس الذي لم ينضج بما تجذبه إليه من الرطوبة وتجفف
الرطب الذي كمل نضجه لانتقطاع الرطوبة عنه قيل هب أن
الأمر كذلك فما للموجب لاختلاف القوابل حتى خصت هذه
الشجرة وهذا الجسم بسبب آخر فلا بد أن ينتهي الأمر إلى سبب
لا سبب فوقه فإن قيل هو شيء صدر عنه كما تقول المتفلسفة لا

يصدر عن الواحد إلا واحد^(١) ويعطينا الرازي رحمه الله بيانا وشاهدنا يبين من خلاله حياته وقيومته تعالى بقوله في معنى قوله تعالى (.....) الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم (.....) والمعنى أنه لا يغفل عن تدبير الخلق لأن القيم يعلم الطفل لو غفل عنه ساعة لاختل أمر الطفل فهو سبحانه قيم جميع المحدثات وقيوم الممكنات فلا يمكن أن يغفل عن تدبيرهم^(٢).

الدليل النقلى منه قوله تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت)^(٣) وقوله (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)^(٤) وقوله (وعنت الوجوه للحي القيوم)^(٥).

^(١) راجع التفسير الكبير - الرازي (رحمه الله) ج (٧) ص ٦

^(٢) راجع العقيدة الاصفهانية ص ٤٦

^(٣) سورة النور الآية ٢٠

^(٤) سورة الاحقاف الآية (١٨)

صفتا السمع والبصر

مما لا شك فيه أنه يجب الإيمان بسمعه وبصره تعالى ولا ينكرهما
الإلحاد وقد نطق الذكر الحكيم مثبثا هاتين الصفتين وهما
صفتان وجوديتان قائمتان بذاته تعالى تتعلقان بكل موجود على
وجه الإحاطة تعلقا زائدا على تعلق العلم .

الدليل النقلى على صفتى السمع والبصر آيات عديدة منها:- قوله
تعالى (إن الله سميع بصير) وقوله تعالى (إنه هو السميع
البصير) وقوله عليه السلام (٠٠ أربعوا على أنفسكم بالدعاء
فإنكم لا تدعون أصميا ولا غائبا وإنما تدعون سمعيا بصيرا)

* صانع العالم سميع بصير لأن السمع والبصر هما صفتا
مدح وكمال فنفيهما نقص تعالى الله عن ذلك .

صفة الكلام :-

مفهومه :- صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت منزّهة عن التقدم والتأخر واللحن والإعلال... الخ
وعند أهل السنة أنه تعالى متكلم بكلام أزلي لا مفتتح لوجوده. (١)

الدليل العقلي على صفة الكلام :-

****** أنه تعالى لو لم يكن متكلماً لكان موصوف بضده وهو الخرس تعالى الله عن ذلك ، وله كلام لأن الأمر والنهي لا يتم إلا بالكلام وكلامه قديم لأنه لو لم يكن قديماً لكان الله تعالى في الأزل متغيراً عن الكلام تعالى الله عن ذلك

****** وكلامه غير مخلوق لأنه لو كان مخلوقاً لكان الله تعالى محلاً للحوادث تعالى الله عن ذلك وكلامه قائم بذاته لا يقبل الانفصال عنه والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق لأنه كلامه وكلامها صفته وصفاته قائمة بذاته لا تقبل الانفصال عنه

(١) راجع المواقف - الأجي - لمطبعة ج (ص ١١)

والافتراق وهذه العبارات دالة على كلامه القديم الأزلي القائم بذاته وتسمى العبارات كلام الله تعالى وهي محدثة مخلوقة وهي الحروف والأصوات وتتابع الحروف والكلمات وهي قائمة بذاته بمحلها وغير مخلوقة يعبر بما هو المخلوق دل عليه قول الشاعر
 إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد
 دليلا

**** وكلامه ليس بحرف لأن الحروف في أنفسها متضادون لا توجد دفعة واحدة إلا متعاقبة وذلك يوجب حدوثه وكلامه قديم**

**** وكلامه ليس بصوت لأن الأصوات يدرك تجانسها بالجنس فلو أن كلامه صوتا لكان جنسا من هذه الأصوات وذلك محال لاقتضائه الحدث وكلامه ليس بعربي ولا بسرائي ولا بعبراني لأن هذه اللغات أوصاف للفظ المركب من الحروف وكلامه ليس بحرف .**

وقد ورد أن الله كلم بعض أنبيائه ونطق للقرآن بأنه كلام الله
فمصدر الكلام المسموع عنه سبحانه لا بد أن يكون شئاً من
شؤونه قديماً بقدمه، أما للكلام المسموع نفسه المعبر عن تلك
الوصف القديم فلا خلاف في حدوثه ولا في أنه خلق من خلقه
وخصص بالإسناد إليه لاختياره له سبحانه في الدلالة على ما
أراد إيلاغه لخلق ولأنه صادر عن محض قدرته ظاهراً وباطناً
بحيث لا مدخل لوجود آخر بوجه من الوجوه سوى أن من جاء
على لسانه مظهر لصدوره والقول بخلاف ذلك مصادرة للبداية
وتجرؤ على مقام القدم بنسبة التغير والتبدل إليه فإن الآيات التي
يقرأها القارئ تحدث وتقنى بالبداية كلما تليت ولقائل بضم
القرآن المقروء أشنع حالاً وأضل اعتقاداً من كل ملة جامع
.....(*)

* وبعد أن تعرفنا على مفهوم الكلام كصفة لله تعالى وقيل أن
نتكلم عن فترة خلق القرآن الكريم والتي واكبت عصر الامام

(*) راجع الرسالة.

أحمد بن حنبل نود الإطالة على أهم الآراء التالي سيقَّت في هذا
المسألة وهي على النحو التالي

أولاً:-* يرى السلف أن كلام الله تعالى مسألة السكوت عنها
أولى من الخوض فيها فلا يقولون إنه مخلوق أو غير مخلوق
وذلك اتباعاً لهدى الرسول صلى الله عليه وسلم •

ثانياً:-* بينما رأى فريق من الحنابلة أن القرآن الكريم بحروفه
وأصواته قديم بل قد بالغ البعض منهم فزعم أن الجلد والغلاف
قديمان •

ثالثاً:-* ونجد أيضاً الخوارج والمرجئة وكثير من الرافضة
والزيدية إلى أن القرآن الكريم كلام الله وأنه مخلوق لله تعالى لم
يكن ثم كان •

رابعاً:-* ورأى أهل الاعتزال أن القرآن الكريم منتظم من
الحروف والأصوات وفيه أمر ونهى ووعد ووعد... الخ وهي
أمر حادثة فهو حادث ومع ذلك لا يقوم بذاته تعالى لمنعهم قيام
الحادث به سبحانه وتعالى ومن هنا فلا يطلقون الكلام على
المعنى النفسي •

تتمة:- ومن جملة هذه الآراء رأى ألا شاعرة أن الكلام هو صفة من صفاته الأزلية القديمة مغايرة للحروف والأصوات فهو قديم بالمعنى النفسي غير مخلوق وأما الألفاظ المكتوبة والمسموعة فهي حادثة نظرا لحدوث هذه الألفاظ. كذلك فإن الآيات التي يقرأها القارئ تحدث وتقنى بالبداية كلما تليت والقائل يقدم القرآن المقروء أشنع حالا وأضل اعتقادا من كل ملة جاء (١).....

ومن هذه الآراء يكون مذهب الأ شاعرة معتدلا ومتهب للمعتزلة قد وصل إلى شطر الحقيقة (١).

(*) الرسالة

(١) راجع بطلالة على فكر الإمام الغزالي د/محمد رشاد عبد العزيز ص ١٨٣

